بسم الله الرحمن الرحيم

أكاديمية همتي رُقي أمتي

أ/ريم عبد الفتاح

للنساء فقط

شرح اسم الرب مُفصلاً

أ / ريم عبد الفتاح

المشرفة العامة على أكاديمية همتي رُقي أمتي

مفرغ من دروس الأستاذة الفضلى أمة العزيز/ريم عبد الفتاح

جزاها الله عنا خير الجزاء

لسماع الدرس صوتيًا ادخلي لقناة شرح أسماء الله الحسنى (للنساء فقط)

https://t.me/joinchat/O9Z_VRUyyPuVdW82

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله تعالى فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشداً.ثم أما بعد

فإن أصدق الحديث كلام الله تعالى، وإن خير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم- وأن شر الأمور مُحدثاتها، وإن كل مُحدثة بدعة، وإن كل بدعة ضلالة، وأن كل ضلالة في النار.

اللهم إنا نسألك علماً نافعاً، ونعوذ بك من علمٍ لا ينفع، اللهم إنا نسألك علماً يُباشر قلوبنا فتخشع وتنيب وتخبُت لك يا رب العالمين.

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما. اللهم اهدنا لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم. ربنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب.

الحمد لله يا أخوات أن مَنَّ الله -عز وجل- علينا بهذا المجلس المُبارك. نحمد الله -عز وجل- على كل شيء. أسأل الله -عز وجل- أن يجعلنا دوماً من الشاكرين الحامدين.

ولكي ننتفع بالعلم يا أخوات لابد من أمرين:

أولاً: تطهير القلب لأن العلم ينتفع به صاحب القلب الطاهر الخاشع، قال تعالى { إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ } [سورة ق آية ٣٧]

اللهم ارزقنا قلوبا طاهرة خاشعة. اللهم طهر قلوبنا من كل ما لا يرضيك عنا يا رب العالمين. صاحب القلب الطاهر الخاشع الذي يبتغي بعمله مرضاة الله -عز وجل- ولا يحمل في قلبه غِلاً ولا حقداً ولا حسداً لأحد من المسلمين.

ثانياً: لابد من العمل بالعلم، قال الله -عز وجل- {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا } [سورة النساء آية ٦٦] تدبري أُخت (فعلوا) العِبرة بالفعل ليس العِبرة بسماع المواعظ فقط؛ ليس الأمر أن استمع إلى درس علم وانتهى الأمر؛ لابد من عقد العزم من البداية على العمل. أسأل الله -عز وجل- أن يوفقنا إلى العمل. وان يفتح لنا فتحاً مُبيناً وأن يوفقنا دوماً لكل ما يحب ويرضى إنه ولي ذلك والقادر عليه.

بحول الله وقوته ابدأ الآن الدرس الثالث من شرح اسم الله الرَب؛ وهو في تدبر قوله تعالى {وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ}[سورة آل عمران آية ٧٩] وبيان ما هي صفات العالم الرباني، وكيف أكون من الربانيين.أسأل الله -عز وجل- أن يجعلنا من الربانيين وأن يوفقنا لكل ما يحب ويرضى.

أُوَكد يـا أخـواتِ إن أكبـر حـظ يخـرج منـه العبـد مـن دراسـتهِ اسم الله الـرَب أن يكـون مـن الربـانيين، وذكـرت أن أكبـر حـظ تخـرج منـه مـن دراسـتك اسم الله العلـيم أن تحـرص علـى العلـم وأن تُزكـي قلبـك ونفسـك بهـذا العلـم؛ وأكبـر حـظ تخـرج منـه مـن دراسـتك اسـم الله الإلــه أن تُصـحح العبـادة وتَجتهـد وتجتهـد فـي تحقيـق العبوديـة -كمـا قـال شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة- (مـن أراد السـعادة الأبديـة فليلزم عتبة العبودية)

بحـول الله وقوتـه نبـدأ الآن فـي شـرح إسـم الله "الـرب" أسـأل الله -عـز وجـل- أن يوفقنـا للتعبـد إليـه سـبحانه وتعـالى بأسـمائه وصـفاته، وأن يرزقنـا الـدخول فـي جنـة معرفتـه بأسـمائه وصـفاته، وأن يوفقنـا دومًـا لكـل مـا يحـب ويرضـى إنه ولي ذلك والقادر عليه.

شمل الشرح النقاط التالية :

- كم مرة ورد اسم الله الرب في كتاب الله -عز وجل- ؟
- المعاني التي يدور حولها اسم الله (الرب) .
- تدبر بعض الآيات والأحاديث التي ورد فيها اسم الله الرب.
- آثار الإيمان باسم الله (الرَبّ)
- حـظ العبـد مـن التعبـد لله -عـز وجـل- باسـمه (الـرب) ، ومـا الأثـر الـذي أجده في قلبي عند التعبد لله -عز وجل- بهذا الاسم ؟

- تدبر قوله تعالى {وَلَـٰكِن كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ }، نقل آراء المُفسرين في هذا ومحاولة الربط بينها .

- صفات العالم الرباني .

- كيف تكون من الربانيين؟ وهل يُشترط أن تكون من العلماء حتى تكون من الربانيين؟ أم قد تكون من الربانيين وأنت لست من العلماء ؟

- ما هو الميزان المُعتدل للحُكم على أحد بأنه رباني ؟

❖ عناصر المحاضرة:

❖ المعاني التي يدور حولها الاسم.

❖ عدد مرات ورود الاسم في القرآن، والسور التي ورد فيها.

❖ التعبد لله عز وجل باسمه الرب، والآثار المترتبة على التعبد لله باسمه الرب.

❖ تدبر بعض الآيات والأحاديث التي ورد فيها اسم الله الرب.

❖ نفرد لقاء خاص لقوله تعالى، {وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ} وأقوال العلماء في تفسير هذه الآية.

المعاني التي يدور حولها اسم الله الرَبّ.

الرب من أسماء الله الحسنى التي يُدعى بها الله -عز وجل- ويُمجد ويُقدس بها، وسبحان الله الإنسان عندما يقع في شدة أو في كرب يدعو الله باسمه الرَبّ، وهذا هو ما يُسكن قلب العبد، فالرِبّ هو من يُربي ويُهذب.

وورد اسم الله الـرَبّ مُضافاً مثل (رَبّ العالمين)، (رَبّ السماوات والأرض)، (رَبّ الملائكة)، (رَبّ العرش)

كذلك ورد اسم الله الرَبّ في أكثر من تُسعُمائة موضع، وأولهم قولهِ تعالى، {ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ} [سُورَةُ الفَاتِحَةِ: ٢] وفي هذه الآية إثبات لأُلوهية الله المُستحقة، وكذلك إثبات لِرُبوبيتهِ سبحانه وتعالى.

ورد كذلك اسم الله الرَبّ في آيات كثيرة جدًا، قال تعالى:

{قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍۢ}[سُورَةُ الأَنْعَامِ: ١٦٤]

{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ} [سُورَةُ هُودٍ: ٦٦]

{بَلْدَة طَيِّبَة وَرَبٌّ غَفُور} [سُورَةُ سَبَإٍ: ١٥]

{فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ} [سُورَةُ الوَاقِعَةِ: ٧٤]

كذلك سنجد أن أغلب أدعية الأنبياء والصالحين باسم الله الرَبّ، وكما جاء اسم الله الرَبّ كثيرًا في القرآن، أيضًا ورد في في أحاديث كثيرة، فقد رُويَ عن الإمام أحمد عن أنس قال : قال رسول الله "لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة قدمه فيها، فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط وعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضلٌ حتى ينشئ الله لها خلقاً آخر فَيُسكنهم الله تعالى في فضول الجنة" رواه مسلم.
والشاهد هنا ورود اسم الله الرَبّ في الحديث.

أيضاً جاء في صحيح مسلم عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما-، عن النبي أنه قال: "إني نهيتُ أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا، فأما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقمن أن يستجاب لكم"

وهذا يدفعنا إلى أن نجتهد في دعاء الله -عز وجل- باسمه الرَبّ.

- **اسم الله الرَبّ في اللغة**

قال ابن الأنباري: (الرَبّ ينقسم إلى ثلاثة أقسام، يكون الرَبّ: المالك لعبادهِ، ويكون الرَبّ: السيد المُطاع والرَبّ: المصلح) إذاً هذا تعريف الرَبّ من حيث اللغة.

▪ معنى الرب في حق الله تعالى

● يقول الطبري: (فإن الرَبّ في كلام العرب مُتصرف على معان: فَالسيد المُطاع فيها يُدعى رباً، والرجل المُصلح الشيء يُدعى ربًا، والمالك للشيء يُدعى ربًا، وقد يَتَصَرف معنى الرَبّ في وجوه غير ذلك (أي أن السيد المُطاع في قومهِ يُقال عليه رباً، والرجل الذي يُصلح ويُغير يقال عنه ربًا، ومالك الشيء يُقال عنه أنه ربه أي رب هذا الشئ أي مالكه، وقد يَتَصَرف معنى الرب في وجوه غير ذلك.

● قال ابن الأثير: (يُطلق الرَبّ في اللغة على المالك، والسيد، والمُدبر، والمُربي، والقيم، والمُنعم، ولا يُطلق غير مضاف إلا على الله تعالى، وإذا أُطلق على غيره أضيف، فيقال: رَبّ كذا) والمعنى أنه إذا قُلت الرَبّ فقط فإن المقصود هو الله -عز وجل- وحده، لكن لا نقول الرَبّ ونقصد أحد من البشر، لكن إذا كان المقصود غير الله -عز وجل- استلزم مضافاً فمثلاً نقول (محمد رَبّ الدار) أي صاحب الدار، فالرَبّ لا يطلق إلا على الله -عز وجل-

● يقول ابن كثير: (والرَبّ هو المَالك المُتصرف، ويُطلق في اللغة على السيد، وعلى المُتصرّف للإصْلاح، وكلّ ذلك صحيحٌ في حقّ الله تعالى، ولا يُستعمل الرَبّ لغير الله، بل بالإضافة، تقول: ربّ الدار؛ رب كذا، وأما الرَبّ فلا يُقال إلا لله -عز وجل-)

إذاً كل هذا صحيح إن الرَبّ هو المالك، وهو المُتصرف، وهو السيد وهو الذي يُصلح عباده، ولا يستعمل الرَبّ إلا على الله -عز وجل-.

● يقول السعدي: (الرَبُّ هو المُربّي جميع عبادَه بالتدبير؛ وأصْناف النِّعم، وأخصُّ من هذا؛ تربيته لِأصفيائه بإصْلاح قُلُوبهم وأرواحهم وأخْلاقهم، ولهذا كثُر دُعاؤهم له بهذا الاسْم الجليل، لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخَاصة)

التربية قد تكون عامة للبشر جميعاً، بالتدبير والإنعام والمنع والعطاء، وفيها يُربي الله الناس جميعاً، فَيُطعم الكافر والمؤمن، ويكسو الكافر والمؤمن، ويُجيب دعاء الكافر المُضطر، فهذه تربية عامة للبشر جميعاً.

وهناك تربية خاصة لأوليائه وأصفيائه، يُربيهم سبحانه وتعالى على الإيمان والعمل الصالح ويثبت قلوبهم عند الفتن، ويعينهم على العبادة ويوفقهم لمعرفته والإنابة إليه، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويُيَسر لهم اليُسرى، ويُجنبهم العُسرى.

وكان دعاء الأنبياء (ربنا) وهم يطلبون التربية الخاصة من الله أن ينصرهم ويؤيدهم، لذا الرزق أيضاً نوعان، رزق أبدان بأن يرزق الله -عز وجل- الناس الطعام والشراب، والصحة والعافيه، ورزق قلوب بأن يَمُنَّ الله على القلوب بالعلم النافع والعمل الصالح، وهذا فتحٌ من الله -عز وجل- سبحان الله!

كلما طَهَرَ العبد قلبه من الحقد والحسد والغِل، فتح الله عليه فتحاً مبيناً ووفقه لما يُحب ويرضى، فمها أُتينا من علم، لم يكن فقط بسبب بذلنا واجتهادنا، فهناك من يبذل ويجتهد ولم يصل، لأن هذا فتحٌ من الله -عز وجل- يَهِبَهُ لمن يشاء من عباده، كل هذا يجعل العبد يسأل الله -عز وجل- أن يُربيه ويوفقهُ للصواب، وأن ينصره ويُثبته بالقول الثابت على لا إله إلا الله والإسلام.

إذاً ربوبيــة الله -عــز وجــل- للخلــق كمــا أوضــحت تشــمل جميــع المخلوقــات بنعمـهِ التـي أوجـدها، فَيُعطـى كـل مخلـوق مـا هـو لائـق بـه، ثـم هـدى كـل مخلـوق لمــا خُلــق لــه، انظــر إلــى النملــة ســبحان الله! تعلــم حيــث يكــون غــذائها، والله سبحانه يُعطيها ويرزقها، ويُغدق على جميع عباده بالنعم.

{يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِى شَأۡنٍ } [سُورَةُ الرَّحۡمَٰن: ٢٩]

سـبحان الله يكشـف كُربـة هـذا، ويُطعـم هـذا، ويكسـو هـذا، ويُعـين هـذا، ويُجيـب دعوة هذا.

لـذا يجـب أن يـدعو الإنسـان الله باسـمه الـرَبّ أن يربيــه ويعينــه، قــال أحـد السـلف: (عرفـت ربـي بربـي ولـولا ربـي مـا عرفـت ربـي) أي أن الله -عـز وجـل- هـو مـن دلنـي ووفقنـي لمعرفتـه سـبحانه وتعـالى، ولـولا توفيـق الله لـي، ما عرفته،سبحان الله!

الله هــو مــن يَــدُلك علــى الخيــر، إن أردت أن تســلك طريــق العلــم، أســأل الله الـرَبَّ أن يُعلمـك ويُفهمـك، وسـوف يَسـوق إليـك الـرَبَّ مـن يُعلمـك، ويُحفظـك القرآن، فمن تقرب من الله شبرًا تقربه منه سبحانه ذراعًا.

● ومعنــى الــربّ أي: (ذو الرُّبوبيــة علــى خلقــه أجمعــين خلقــاً ومُلكــاً وتصــرُّفاً وتدبيراً، وهو من الأسماء الدالَّة على جملةِ معانٍ لا على معنى واحد)

أي أن الـرَبَّ تـدل علـى معـاني كثيـرة، ولـيس علـى معنـى واحـد، فهـو سـبحان الله ذو الربوبيـة علـى خلقـه، فهـو الـذي خلقهـم وملكهـم، وهـو المُتصـرف فـيهم، وهو الذي يُدبر شؤونهم، سبحان الله!

● فسـر الشـيخ السـعدي قولـه تعـالى، {قَـالَ فِرْعَـوْنُ وَمَـا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ} {قَـالَ رَبُّ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَـا بَيْنَهُمَـا ۖ إِن كُنـتُم مُّـوقِنِينَ} [سـورة الشـعراء: ٢٣- ٢٤]

أي: الـذي خلـق العـالم العلـوي والسُـفلي، ودبـره بـأنواع التـدبير، وربـاه بـأنواع التربية.

● ويُبـين الإمـام ابـن القـيم -رحمـه الله تعـالى- معنـى قولـه تعـالى، (رَبِّ الْعَـالَمِينَ) فيقـول: (قولـه: (رَبِّ الْعَـالَمِينَ) أي ربوبيتـه للعـالم تتضـمن تصـرفه فيـه، وتـدبيره لـه، ونفـاذ أمـره كـل وقـت فيـه، وكونـه معـه كـل سـاعة فـي شـأن، يخلـق ويـرزق؛ ويميـت ويحيـي، ويخفـض ويرفـع؛ ويعطـي ويمنـع؛ ويعـز ويـذل، ويصـرف الأمـور بمشـيئته وإرادتـه، وإنكـار ذلـك إنكـار لِربوبيتـه وأُلُهيته ومُلكه)

● ويتحـدث ابـن القيم -رحمـه الله تعـالى- عمـا يشـاهده العبـد مـن اسـمه سـبحانه (رَبِّ الْعَـالَمِينَ) فيقـول: (وشـاهد مـن ذكـر اسـمه (رَبِّ الْعَـالَمِينَ) قيُّومًـا قـام بنفسـه؛ وقـام بـه كـلُّ شـيءٍ، فهـو قـائمٌ علـى كـلِّ نفـس بخيرهـا وشـرِّها، قـد اسـتوى علـى عرشـه، وتفـرَّد بتـدبير ملكـه، فالتـدبير كلُّـه بيديـه، ومصـير الأمـور كلُّهـا إليـه، فمراسـيم التـدبيرات نازلـة مـن عنـده علـى أيـدي ملائكتـه بالعطـاء والمنـع، والخفـض والرفـع، والإحيـاء والإماتـة، والتوبـة والعـزل، والقـبض والبسـط، وكشـف الكـروب وإغاثـة الملهـوفين وإجابـة المضـطرِّين، {يَسْـأَلُهُ مَـن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [الرحمن: ٢٩]

لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا مُعقِّب لحكمه، ولارادَّ لأمره، ولا مُبدِّل لكلماته، تعرج الملائكة والروح إليه، وتعرض الأعمال – أول النهار وآخره – عليه، فيُقدِّر المقادير ويُوقِّت المواقيت، ثم يسوق المقادير إلى مواقيتها، قائمًا بتدبير ذلك كلِّه وحفظه ومصالحه)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (والفقر لي وصف ذات لازم أبدا، كما أن الغنى أبدا وصف له ذاتي) وصف ذاته بأنه عبدٌ فقيرٌ إلى الله -عز وجل- والغِنى وصف دائم لله -عز وجل- لذا كان يُقال دبر ألا تُدبر، فقد يأتي تَدبيرُ ربك غير الذي كنت تتوقعه، بل وإذا أصابك كربٌ فقد يأتي فرجُ الله -عز وجل- لك من حيث لم تحتسب، الرَبَّ سبحانه هو من كتب الإبتلاء والتنغيص على العبد حتى يجعل قلب العبد دومًا معلقاً بالله، فالتدبير كله بيد الله -عز وجل- ومصير الأمور كلها إليه سبحانه وتعالى.

عندما نتعبد لِله باسمه الرب، نستحضر الربوبية، ونستشعر أنه سبحانه لم يبتلينا إلا لِيُطهرنا، ويجعل ملجأنا إليه سبحانه، فالعبد دائماً ما يلجأ إلى الله في الشدائد والمِحن، أعبد الله وكن على ثقة به، يَقُولُ اللهُ -عز وجل- (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي) فالله -عز وجل- يُريدك بكل جوارحك تلجأ إليه باسمه الرَبّ، فلا تَمُن عليه بالدعاء، فهذه العبوديات أحيانًا لا تظهر إلا في وقت الشدة والألم والكرب، قال تعالى، {وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ} [سُورَةُ الأَنْعَامِ: ٩١]

آثار الإيمان باسم الله (الرَّبّ)

- إن اسم الـرَبَّ سـبحانه ومـا يسـتلزم مـن الأسـماء والصـفات يتضـمن تعريـف النـاس غـايتهم التـي خلقـوا مـن أجلهـا، وتعـريفهم مـا يـنفعهم ومـا يضـرهم؛ فكونـه رب العـالمين لا يليـق بـه أن يتـرك عبـاده سـدىً همـلاً لا يعـرفهم بنفسـه ولا بمـا يـنفعهم فـي معاشـهم ومعـادهم، فهـذا هضـم للربوبيـة ونسـبة للـرب إلـى مـا لا يليـق، قـال تعـالى، {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} [المؤمنون : ١١٥]

الله -عـز وجـل- لـم يخلقنـا عبثـاً، فمـا خُلقنـا إلا لعبوديـة الله -عـز وجـل- والاجتهـاد فـي تحقيـق أمـره، وكـذلك الاجتهـاد فـي إعمـار الكـون، وإصـلاح الـنفس والآخـرين، وكـل هـذا يجعـل العبـد مُتعلـق بـالله -عـز وجـل- مجتهـداً فـي أمـره وفـي معرفتـه بـالله، وأن لهـذا الكـون ربًـا، فاجتهـد فـي التعبـد لله عـز وجـل باسـمه الـرَبّ وسـوف يكـون هنـاك لقـاء فـي توضـيح قولـه تعـالى، {وَلَـٰكِن كُونُـوا رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَـا كُنـتُمۡ تُعَلِّمُـونَ ٱلۡكِتَـٰبَ وَبِمَـا كُنـتُمۡ تَدۡرُسُـونَ}[سُـورَةُ آلِ عِمۡرَانَ: ٧٩]

- إقـرار رُبوبيـة الله -عـز وجـل- يسـتلزم توحيـد الله -عـز وجـل- وعبادتـه لا شـريك لـه، لأنـه الخـالق والمُتصـرف فـي هـذا الكـون بالإحيـاء والإماتة، والرزق والتدبير، لذلك هو المستحق للعبادة وحده.

سبحان الله! فالعبد يجعل وجهة قلبه كلها متجهة لربه وحده، لا يعبد مخلوق ضعيف ولا يجعل مخلوق ضعيف ند لله -عز وجل- في المحبة والتعظيم، قال تعالى {وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبا لِّلَّهِۗ} [سُورَةُ البَقَرَةِ: ١٦٥]

الذي يتعبد لله باسمه الرَبّ، يعرف ربه ويجتهد في تحقيق العبودية والمحبة الخالصة لله -عز وجل-

المشركين أيضاً أقروا بالربوبية، ولكنهم لم يعبدوا الله -عز وجل- وحده بل أشركوا معه غيره، لذا من تعريف (لا إله إلا الله) أي لا معبود بحقٍ إلا الله، ولا بد من كلمة (حق)، لأن هناك كثير من الناس يُقر بوجود الله سبحانه وتعالى، لكنهم أشركوا معه غيره مثل عبدة الأبقار والعياذ بالله، لذلك وجب قول (بحق) حتى أفصل عبادة ربنا الحقة عن كل المعبودات الباطلة، فهو وحده المُستَحِق للعبودية.

كان المشركون مؤمنين بوجود الرَبّ، وكانوا يعلمون أن هذا الكون له رَب في السماء، وإذا لم ينزل المطر دعوا الله الذي في السماء، ولكنهم عبدوا مع ربهم الأصنام، فلم يكن إيمانهم بالربوبية من القلب، لأنه من المستحيل أن تعبد الله بقلبك وتُشرك معه غيره، فالإيمان ليس باللسان والقلب بعيد عن التطبيق وفيه قسوة وغفلة، لذا وجب استحضار القلب لإقرار الربوبية.

استحضار القلب لإقرار الربوبية يدفع العبد للاجتهاد في العمل الصالح؛ و الانقياد والإخلاص في توحيد الله -عز وجل- قال تعالى، {وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ} [سُورَةُ طه: ٨٤]

أي أنني أُسارع وأجتهد في كل عمل صالح يرضيك يا ربي، ولا يوجد في تفكيري وعقلي وذهني أمر يُشغلني عن عبادتك يا رَب وإخلاص العبادة لك وحدك سبحانك.

فكيف يعبد مخلوق ضعيف ويجعله نِداً لله -عز وجل- في المحبة والتعظيم؟! وهو لم يخلق ولا يملك لنفسه تدبيرًا فضلًا على أن يملك لغيره، وهذه من الاحتجاجات الكثيرة التي وردت في القرآن، قال تعالى، {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ} {ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ} [سُورَةُ البَقَرَةِ: ٢١-٢٢]

والأنداد هم الشركاء.

{أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ}[سُورَةُ الأَعۡرَافِ: ١٩١]

أي يُشركون مع الله ما لم يخلق شيء، وليس شرطًا أن تكون من أذكى العقول حتى تؤمن بالله -عز وجل- فالهداية من عند الله وحده، انظر إلى التقدم العلمي في اليابان وغيرهم من الدول لكنهم مازالوا يعبدون البقر ويُشركون أنداداً مع الله، ذلك لأن الإيمان لم يلمس قلبه.

فَالمشركون أقروا بالربوبية، ولم يقروا بالألوهية، لأن الربوبية إنما إعترف بأن الرَبَّ هو الذي خلقنا ورزقنا وأطعمنا وسقانا، وهذا يعترف به العالم أجمعين، ولكن لم يقروا بالألوهية لأنهم لم يعبدوا الله -عز وجل- أو أنهم عبدوه ولكن اشركوا معه غيره من الأصنام أو من المعبودات أو من البشر، فلابد من إخلاص العبادة لله -عز وجل- وحده.

قال الله -عز وجل-{قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ} {سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ} [سُورَةُ المُؤۡمِنُونَ: ٨٨-٨٩]

وقال سبحانه وتعالى، {وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ} [سُورَةُ الزُّمَرِ: ٣٨]

أي لو سألتهم من خلق السماوات والأرض،ليقولن الله، وهذا اعتراف بالربوبية، لكنهم عبدوا من لم يستطع دفع الضر عنهم، أو إنزال الرحمة، فكيف بعقولٍ أن تعبد الأصنام التي صنعوها بأيديهم؟!

- الإيمان بصفة الربوبية لله -عز وجل- يُعني الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا، إذ إن من صفات الرَبّ سبحانه كونه قادرًا خالقًا بارئاً، ومصوراً وحيًا وقيومًا وسميعًا وعليمًا، لا يليق أن يكون ربًا دون أن يكون بصيرًا جوادًا كريمًا معطيًا مانعًا؛ وكل هذا يتضمن الإيمان باسم الله الرَب.

وفي هذا يقول ابن القيم: (إن ربوبيته سبحانه إنما تتحقق بكونه فعالًا مُدبرًا مُتصرفًا في خلقه يعلم ويقدر ويريد ويسمع ويبصر، فإذا انتفت أفعاله وصفاته، انتفت ربوبيته، وإذا انتفت عنه صفة الكلام، انتفى الأمر والنهي ولوازمها)

فكيف ستكون الربوبية إذا كان الرب لا يسمع ولا يُبصر ولا يعلم ولا يُدبر الأمر، كذلك نحن إن لم نُثبت لله صفة الكلام فكيف يأمرنا الله -عز وجل- وكيف ينهانا، فلابد من إثبات صفة الكلام والعلم والتدبير وهكذا.

أيضاً يقول ابن القيم (إن الرَب هو القادر الخالق البارئ المصور؛ الحي القيوم؛ العليم السميع البصير؛ الذي يُضلُّ من يشاء ويهدي من يشاء؛ ويُسعد من يشاء، ويُشقي ويُعِزُّ من يشاء ويُذِلُّ من يشاء؛ إلى غير ذلك من معاني ربوبيته التي له منها ما يستحقه من الأسماء الحسنى)

فالله -عز وجل- رَبَّ كل شيء وخالقه ومالكه، وهو القادر على كل شيء وهو المُتصرف في جميع الأمور، وبهذا فإنه لا يخرج شيء عن ربوبيته ، كل ما في السماوات والأرض عبدٌ له سبحانه وتعالى، في قبضته وتحت قهره -عز وجل-

- الإيمان باسم الرَبَّ -عز وجل- وما يتعلق به من صفات يقتضي الرضا به سبحانه ربًا وإلهًا وحاكمًا ومشرعًا، لأن الرضا بربوبيته -عز وجل- هو رضا العبد بما يأمره به ربه وينهاه عنه، ويُقسمه له ويُقدره عليه، ويعطيه إياه ويمنعه منه، فمن لم يحصل الرضا بذلك كله، لم يكن العبد قد رضي به ربًا من جميع الوجوه.

{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيما}[سُورَةُ النِّسَاءِ: ٦٥]

والمقصود ألا يكون في النفس حرج ولا ضيق ولا شدة، بل رضا تام بحكم الله وشرعه سبحانه وتعالى، والحكم في الشريعة ليس حُكمًا يتناسب مع الجميع، الدين يأتي بحكم فيصل.

عقل الإنسان قاصر لأن يحكم في شرع الله -عز وجل- فلا تجعل عقلك القاصر سبيل للحكم على أوامر الله ونواهيه، فإذا وجدت من الأحكام والشرع ما لا يتناسب معك، فاتهم فهمك وعقلك، لأن الله يأتي بحكم فيصل على الجميع.

ثم بعد أن يَمُنَّ الله عليك بالعلم، ستعلم حينها أن الخير كله فيما أمر الله -عز وجل- وأن الشر كله فيما نهى الله عنه، والرضا باسم الله الرَبّ يجعلك تُسلم بكل أوامر الله -عز وجل- ونواهيه وأنت في رضا تام، وإن لم تعلم الحكمة من ذلك.

وإذا حَكَمْنا الأمر للعقول، فإن العقول تتفاوت وتختلف ولا يعلم ما يُناسبها إلا خالقها، لذا إذا جاء الله بحُكم، فهو فيصل على الجميع وإن لم تستطيع الوصول إلى الحكمة من وراء ذلك، لكن كُن راضياً لأوامر الله -عز وجل- ونواهيه، وبذلك تتذوق طعم الإيمان.

ولا يذوق عبد طعم الإيمان حتى يأتي بكل موجبات الربوبية ولوازمها، وهذا معنى قوله -صلى الله عليه وسلم- (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ صلى الله عليه وسلم رسولاً)

ومتى ذاق العبد طعم الإيمان فلا تسأل عن سعادته، وأُنسه، وطمأنينته وثباته، ولو استوحشته البلايا والرزايا، كما أن من هذا شأنه فإن طاعات الله -عز وجل- تَسهُل عليه وتلذ له ، كما يكون في قلبه كره معاصي الله -عز وجل- والنفور منها، قال تعالى {هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ}[سُورَةُ الفَتْحِ: ٤]

فلا تجعل عقلك القاصر ينظر لِنِعم غيرك، مما يجعلك تنظر للسلب ولا تنظر للإيجاب، فقد يُؤتى غيرك المال، وتُؤتى أنت نعمة الصحة والعافية، أو نعمة الذرية، بل وربما كانت بعض النعم تكون سبباً في غفلتك وانصرافك عن الله، لأن من لم يُحَصِل الرضا فهذا دليل على نقص الربوبية لله-عز وجل-

كانت هذه بعض المعاني التي يدور حولها اسم الله الرَبَّ، وبعض آثار الإيمان باسم الله الرَبّ، وكيف أُحقق الربوبية الحقة، بأن أرضى بما قسم الله -عز وجل- فإن لم يُحَصِل العبد الرضى بذلك كله، لم يكن قد رضي بالله ربًا من جميع الوجوه، فيجب على العبد أن يكون لديه رضاً تاماً في كل أوامر الله، وفي شرعه، سواءاً عرف الحكمة منها أو لم يعرف، وسواءاً أُعطي أم مُنعَ عنه.

♦معاني تدور حول اسم الله الرَب:

يقول القرطبي في تفسير قوله تعالى، {رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ}
(أي مالكه، وكل من ملك شيئًا فهو ربه، فالرَبّ هو المالك، و"الرَب" اسم من أسماء الله ولا يقال في غيره إلا بالإضافة، والرَبّ المصلح والمدبر والجابر والقائم، و"الرَب" أيضاً المعبود، يقال على التكثير)

فكما أوضحت يقال رَبّ البيت، أو رَبّ الدار، لكن لا يأتي الرَبّ إلا لله -عز وجل-

أيضاً قال القرطبي، (قال بعض العلماء: إن هذا الاسم هو اسم الله الأعظم، لكثرة دعوة الداعين به، وتأمل ذلك فى القرآن، كما فى آخر آل عمران وسورة إبراهيم وغيرهما، ولما يشعر به هذا الوصف من الصِلة بين الرب والمربوب، مع ما يتضمنه من العطف والرحمة والافتقار فى كل حال)

(واختُلِفَ فى اشتقاقه، فقيل: إنه مشتق من التربية، فالله سبحانه وتعالى مدبر لخلقه ومربيهم، ومنه قوله تعالى (وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِى فِى حُجُورِكُمْ) فسمى بنت الزوجة ربيبة لتربية الزوج لها، فعلى أنه مدبر لخلقه ومربيهم يكون صفة فعل، وعلى أن الرب بمعنى المالك والسيد يكون صفة ذات)

فقد كَثُرَ دعاء الأنبياء باسم الله "الرَب"، لما في هذا الوصف من الصِلة بين "الرَب" والمربوب، والصلة بين الله -عز وجل- والافتقار إليه سبحانه، كما قال الله -عز وجل-{وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم}

فسمى بنت الزوجة رَبيبة، لأن زوج الأم يربيها، ومن هنا أيضًا قال إن "الرَب" يأتي بمعنى التربية.

والفرق بين صفة الذات وصفة الفعل، أن صفة الذات هي ما يَصف الله -عز وجل- به ذاته، كأن نقول مثلًا أن الله هو المالك وهو السيد، فَصفة الذات لا تتعلق بالقدرة والمشيئة، فلا يصح أن نقول أنه مالك أو سيد إذا شاء، بل هو مالك وسيد دائماً.

وأما صفات الفعل تتعلق بالقدرة والمشيئة، فَيصح أن نقول بأن الله مُدبر لخلقه ويُربيهم كما يشاء، فَيُصلح هذا ويهدي هذا ويُضل هذا كما يشاء.

التربية نوعان:

تربية عامة لجميع خلقه، يُربي المؤمن والكافر، يُطعمه ويسقيه ويَمُن عليه.

وتربية خاصة لأوليائه، يربيهم ويثبتهم علي الإيمان والقول الصالح وعلى الهداية، ويوفقهم دومًا إلى الصراط المستقيم.

أيضًا قال القرطبي (متى أُدخلت الألف واللام على"رَب" اخُتص الله تعالى به، لأنهما للعهد، وإن حُذِفَتا منه صار مشتركاً بين الله وبين عباده، فيقال: الله رَبّ العباد، وزيدٌ رَبّ الدار، فالله سبحانه رب الأرباب، يملك المالك والمملوك، وهو خالق ذلك ورزقه، وكل رب سواه غير خالق ولا رازق، وكل مملوك فمملك بعد أن لم يكن، ومُنتَزع ذلك من يده، وإنما يملك شيئاً دون شيء، وصفه الله تعالى مُخالفة لهذه المعانى، فهذا الفرق بين صفة الخالق والمخلوقين)

والمعنى، أنه إذا جاءت كلمة "رب" دون دخول الألف واللام عليها، اشترك فيها الله والبشر، فَيُقال، (الله رب العالمين)، ويُقال (زيدٌ رب الدار) أما إذا دخلت الألف واللام فيختص الله -عز وجل- بها وحده.

وكان هذا الفرق بين صفة الخالق وصفة المخلوق، أن الله هو "رَب" العالمين يملك جميع الخلق وملكه لا يزول، أما "رَب" الدار، فهو مالك لهذا الدار فقط وليس رب الكون كله، بل وإن هذه الدار أيضًا منزوعة منه في نهاية الأمر.

يقول الطبري في تفسير قوله {رَبِّ الْعَالَمِينَ}: (فإن "الرَب" في كلام العرب مُتصرف على معان: فَالسيد المُطاع فيها يُدعى رباً، والرجل المُصلح الشيء يُدعى ربًا، والمالك للشيء يُدعى ربًا، وقد يَتَصَرف معنى "الرَب" في وجوه غير ذلك)

أي أن السيد المُطاع في قومهِ يُقال عليه رباً، والرجل الذي يُصلح ويُغير يقال عنه ربًا، ومالك الشيء يُقال عنه أنه ربه أي رب هذا الشئ أي مالكه، وقد يَتَصَرف معنى"الرَب" في وجوه غير ذلك.

أيضًا يقول الطبري -رحمه الله-: (فربنا -جل ثناؤه- السيد الذي لا شبه له ولا مثل في سُؤدُدُه، والمُصلح أمر خلقه بما أَسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر)

كل هذه المعاني تعود إلى أن الله -عز وجل- هو المالك وهو السيد وهو المُطاع وهو المُصلح.

اسم الله"الرَب" إذا أُفرد تناول في دلالته سائر أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، أي أن اسم الله "الرَب" إذا قيل تَضمن كل الأسماء وكل الصفات.

اقتران اسم الله "الرَب" بغيره من الأسماء:

- اقترن اسم الله "الرَب" باسم الله، وكذلك باسم(الرحمن الرحيم)كما في قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} {الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ} [سورة الفاتحة: ٢-٣]

وقوله تعالى، {رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَـٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا} [سُورَةُ مَرۡيَمَ: ٦٥]

وقوله سبحانه، {سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّب رَّحِيم} [سُورَةُ يسٓ: ٥٨]

وإذا اقترن الاسم مع غيره من الأسماء أعطى معناً ثالثاً، يقول القرطبي في قوله تعالى، {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}

وصف نفسه تعالى بعد رب العالمين، بأنه الرحمن الرحيم؛ لأنه لما كان في اتصافه بِرب العالمين ترهيب، قرنه بالرحمن الرحيم، لما تضمن من الترغيب؛ ليجمع في صفاته بين الرهبة منه، والرغبة إليه؛ فيكون أعون على طاعته وأمنع؛ كما قال تعالى،{نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ} {وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ} [سُورَةُ الحِجْرِ: ٤٩-٥٠]

وقال كذلك، {غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ}[سُورَةُ غَافِرٍ: ٣]

ليجمع بين الترغيب والترهيب فيُعرِف عباده بأنه رب العالمين، وأنه أيضًا الرحمن الرحيم.

أيضًا لبيان سعة رحمة الله -عز وجل- وشمولهايقول ابن القيم، (فإن شمول الربوبية وسعتها بحيث لا يخرج شيء عنها أقصى شمول الرحمة وسعتها)

إذاً ذِكر أن الله -عز وجل- رحيم وأنه "الرَب"، هذا يدل على سعة رحمة الله -عز وجل- فَوسع كل شيء برحمته وربوبيته، مع أن في كونه ربّاً للعالمين ما يدل على علوه على خلقه وكونه فوق كل شيء.

فَشمول الربوبية أنه سبحانه رحيمٌ بعبادهِ، وأن ربوبيته هذه شملت الرحمة أيضًا، فوسع سبحانه وتعالى كل شيء برحمته وربوبيته.

- اقتران اسم الله "الرَب" باسمه الغفور.

قال تعالى، {بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ}[سُورَةُ سَبَإٍ: ١٥]
هذا الاقتران تأكيد على أن من أخص صفات الرب المغفرة، وأنها من موجبات ربوبيته ولوازمها، فمن موجبات الروبية أن الله عز وجل يغفر لعباده.

- اقتران اسم الله "الرَب" باسمهِ العزيز.

كما في قوله تعالى، {رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ} [سُورَةُ صٓ: ٦٦]

وجه الاقتران للدلالة على أن صفة الغلبة والعزة من موجبات الربوبية والسؤدد.

♦ الآثار الإيمانية للتعبد لله -عز وجل- باسمه الرَب، وحظ العبد من الإيمان باسم الله الرَب.

- عندما يعلم العبد أن الله -عز وجل- هو "الرَب" الذي خلق الخلق، ولم يتركهم هملًا، بل تصرف فيهم بما يصلح شؤونهم، يعلم أن الله -عز وجل- هو مربيه، وكما ذكرنا فإن الربوبية قد تكون عامة لكل خلقه، أو ربوبية خاصة للمؤمن يخصه بمزيد من العناية والتربية والمحبة، كل هذا يُورث العبد الذي يسير في طريق "الرَب" قوة عظيمة في قلبه يتوكل بها على الله في جلب المنافع وفي دفع المضار، وفي تصريف جميع أموره.

فلا يتعلق العبد إلا بالله -عز وجل- ولا يرجو إلا الله ولا يخاف إلا الله سبحانه، وكيف يتعلق بمخلوق ضعيف مثله لا يملك لنفسهِ نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا؟!

- كذلك من خصائص الربوبية، اختصاصه بجلب المنافع ودفع المَضار، وتفريج الكُربات وقضاء الحاجات، فيلجأ العبد إلى ربه في الشدائد، ويتضرع إليه، ولما يعرف العبد آثار الإيمان باسم الله "الرَب: يؤثر هذا في دعائه، ويجعل عنده قوة رجاء في ربه، ولجوء إليه سبحانه، ووثوق بكفاية الله -عز وجل- وقدرته في قضاء حوائج عباده.

لذا كما ذكرت، كانت أكثر أدعية الأنبياء "ربنا" مما يدفع العبد إلى حفظ هذه الأدعية التي بدأت باسم الله "الرَب" حتى ألجأ إليه وأَتَضَرع إليه سبحانه بها، وقد وردت أدعية كثيرة في القرآن باسم الله "الرَب".

- أيضًا من آثار الإيمان باسم الله "الرَب" أنه يزيد يقين العبد في الله، ويجعل العبد عنده تمام اليقين في الله -عز وجل- أَرضَى بهِ رباً وخَالقاً ومُشرعاً.

فلا أحد يعلم الخلق أكثر من خالقه، فربك يعلم حالك، فإذا نزل بك بلاء، فلا تسمع إلى وسوسة الشيطان، لأنك على يقين بأن الله "الرَب" قد قَدَرَ عليك هذا البلاء حتى يجعلك منكسراً له، "الرَب" يعلم أنه لو أغدق عليك النِّعم، لَنصَرفت عن الطاعات، ولَقلَّ إيمانُ قلبك.

إذاً من آثار الإيمان باسم الله "الرَب"، الرضا واليقين بأوامر الله، واجتناب نواهيه، وليكن دعاؤك مثل دعاء سيدنا عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه-
(اللَّهُمّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا لاَ يَرْتَدُّ، وَنَعِيمًا لاَ يَنْفَدُ، وَمُرَافَقَةَ مُحَمَّدٍ - صلى الله عليه وسلم - فِي أَعْلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ)

نسأل الله إيمانًا ثابتاً راسخاً لا يرتد، فالإيمان باسم الله "الرَب" يجعلك تؤمن أن الله -عز وجل- هو المُرَبي الذي يُربينا، الذي يُصَرِف أمورنا، ويعلم ما يُصلحنا، فلا نحزن لذا كان بعض السلف يقول: (أستحي أن أحزن، وأمري كله بيد الله)

فلا يحزن الإنسان إن أصابه خذلان البشر، وهذا من أكثر الابتلاءات التي قد تُحزن الإنسان، فهناك من فقد بصره وقال رأيت هذا الفقد قدر الله ولم أُبالي، لكن حزنت حُزناً شديداً عندما رأيت خُذلان مَن لم أتوقع خذلانهم، وهذا كله يجعلك تزهد في البشر وتُعلق قلبك بالله وحده.

الإيمان باسم الله "الرَب" يُولد هذه الراحة والطمأنينة، بأن الله الخالق المُدبر للأمور بحكمة، هو مَن قدر عليك هذا الأمر لحكمة عنده، فيشعر العبد بالأمان.

- معرفة العبد اسم الله "الرَب" تُورث المحبة في القلب لله -عز وجل- مهما وقع على العبد من مِحَن وابتلاءات، فهو يعلم أنه بهذا يُربيه ويُصلحه، ويعرف كم هو مُقصر في عبادة الله، وأنه ما عبد الله حق عبادته، قال تعالى، {مَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ} [سُورَةُ الحَجِّ: ٧٤]

والله ما ندم عبداً حق إلا على خروجهِ من هذه الدنيا وهو ما قَدَرَ الله حق قدره، فيندم على ما فات منهُ من البُعد عن الله، وعلى عدم الاجتهاد في الطاعة، وهذا لأنه على يقين بأن الله هو المُربي السيد المُطاع.

- من الآثار الإيمانية للتعبد باسم الله "الرَب" طلب العلم ومعرفة مسالكه في العالم كله، فَيطلب العلم الذي يُقربه من الله -عز وجل- ويستعلم عن كل مُجريات الأمور في الخلائق خَلقًا وتدبيرًا وتصويرًا.

كل هذا يجعل العبد يؤمن أكثر وأكثر، فيَرى بالأبصارِ والبصائر ربه العظيم وحده لا شريك له، يرى البحار والمحيطات ويتفكر في السماوات والأرض، ويَتفكر في المخلوقات، فيصل إلى ربه سبحانه وتعالى.

- التعبد لله باسمه "الرَب" يجعل العبد يرى أن الله هو الرحمن الرحيم، الذي يُكافئ خلقه بحكمتهِ، يكافئ المُحسن ويُعاقب المُسيء، فَيطمئن قلب العبد، يعرف ثواب الطاعة فَيعود إلى الله -عز وجل- وأن عاقبة المعصية تكون وبالًا على صاحبها، فيطمئن لأنه يشعر أن ربه يراقبه ويحاسبه على أفعاله، فيجتهد في الإبتعاد عن المعاصي والذنوب والكبائر، ويجتهد حتى يرى ربه دومًا من قلبه الصلاح والإيمان.

إذاً التعبد باسم الله "الرَب" يجعل الإنسان يرى ربه الرحيم الرؤوف الذي يَسوق الشدائد والمصائب لمن عصاه، ليجعله يَتوب ويُنيب إليه، يقول الله -عز وجل-{وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ} [سُورَةُ السَّجۡدَةِ: ٢١]

فمن علم الله فيه خيرًا، جعله ضمن رعايته و قربهُ وأكرمه وأدبه، فيكون سببًا لرحمته بالنعم الظاهرة والباطنة، كما قال ابن القيم:
(ولله عناية الفائقة بمن يُحبه، ومن عَلِم الله أنه لا يَصلُح لِدار كرامته، مَتعهُ في الدنيا بشهواتهِ، فإن لم يشكر عَاقبه، فإن أصر أهلكه)

لأنه ليس كريمًا على ربه، فَتمتع في الدنيا بما شئت، فهناك حساب وعقاب وجزاء على هذا في الآخرة، و"الرَب" -عز وجل- إذا أحب عبداً عَجَلَ له العقوبة إذا عصاه، حتى يتوب ويعود إليه، و يبتليه بالنعم والمصائب، فإن صبر اجتباه، وإن شكر زاده، وإن عصاه أدبه.

 (ومن أحبه ربه جعل له واعظًا من نفسه، وحبب إليه طاعته وكره إليه معصيته، وجعل حوائج الناس إليه) فإذا هَمَّ بمعصيه، ذكرته نفسه بعقوبة هذا الأمر، فتُحَبب إليه الطاعة، ويجعل الله حوائج الناس إليه، سبحان الله! فيسوق الله إليك من تكون سبباً في تفريج همه، وهذه نعمة من الله -عز وجل- ساقها الله إليك حتى تُؤجر، فَكون شخصاً ما اختارك لتفريج همه بإذن الله دون غيرك؛ فهذا رزقٌ من الله.

- يعلم العبد ربه، ويتعبد لله -عز وجل- التعبد الكامل، ويُفرده سبحانه بما هو أهله، ويَلزم قدره ويعرف نفسه، فهو "الرَب" وأنت العبد، فلا يتجرأ على ربه ولا يستكبر، فهو الخالق وأنت المخلوق وهو الغني وأنت الفقي، وهو القوي وأنت الضعيف، كل هذا يوجب على العبد أن يتعبد لله -عز وجل- أكثر، وكل هذا من إيمان العبد باسم الله "الرَب: يجعل العبد يتعبد لله عز وجل أكثر وأكثر

- أيضًا من إيمان التعبد لله -عز وجل- باسمه "الرَب" يجعل الإنسان يلزم نفسه بالعبودية لله -عز وجل- وتمام الذل والإنكسار "للرَبّ" في كل جميع الأوقات؛ فيُربي نفسه على حب ما يحب الله -عز وجل- ويبغض ما يكرهه ويتجنبه، كذلك يُربي نفسه على النُصح والتوجيه وحُسن التربية والتعليم حتى تُصلح نفسه وتربح تؤجر.

- يعلم أن الله -عزوجل- يحب أسماءه الحسنى وصفاته العُلا، ويحب ظهوره على خلقه، ولهذا أخبرنا الله -عز وجل- بهذه الأسماء حتى ندعوه ونُثني عليه بها، فهو "الرَب" الكريم، يُحب الكرم وأهل الكرم، وهو "الرَب" الشكور، يُحب الشكر وأهل الشكر، العفو الذي يُحب أهل العفو، فيكون العبد ربانيًا مُتصفاً بكل صفات الله الحسنى التى يحبها الله -عز وجل-

ويكون العبد مُتصفاً بالإسلام والإيمان والإحسان والكرم والعفو والحلم والرحمة؛ ويعلم أن الله -عز وجل- عظيم وجعل الإنسان خليفته في أرضه، وأنه سبحانه هو من يُدبر أموره، وبناءاً عليه يقوم الإنسان بشئون الخلافة حسب توجيه ربه في كل حال.

فكما أن الله -عز وجل- عظيم وجعل الإنسان خليفة في الأرض، فالإنسان يجتهد في حراسة الأرض وفي إعمارها على قدر ما يستطيع، فإذا وَكَلَ الله الإنسان أسرة مثلاً، يجب أن يكون الإنسان لها مُدبرًا رحيمًا حكيمًا، كذلك إذا وكله الله -عز وجل- بطُلاب علم، يكون لهم أيضًا لطيفًا ومُربيًا ورحيمًا ومدبرًا لهم، وإذا كان حاكمًا يجب أن يُدبر أمور رعيته بما أمره الله -عز وجل- ورسوله، وإذا كان عالمًا يجب عليه أن يدبر أمر عباده بالشرع، يوضح للناس العلم ويُبسطهُ لهم.

فكما أن الله -عز وجل- يُدبر أمر خلقه، فالإنسان الرباني يجتهد في تدبير أمر الله -عز وجل- حسب ما مَنَّ الله -عز وجل- عليه.

- التعبد لله باسمه "الـرَب" يبعث القلب ليحيا بمعرفة الله، والنفس أيضًا بالأعمال المُطابقة للقرآن والسُنة، فَيَشغل قلبه بكل طاعة تُرضي الله حتى يصل إلى درجة المُحسنين، والإحسان هو (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) فتكون من المحسنين وتُحسن إلى الخلق، وتجتهد في تحقيق الإيمان بالله -عز وجل- المُستلزم إخلاص العبادة وكمال الذل لله مع كمال الحب والتعظيم.

وبهذا يذوق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولًا، ويرضى بما أمره به ربه وبما نهاه عنه، فيكون من الربانيين.

فهل استشعرنا أن الرب هو السيد المُطاع، وأن السُؤدد لله -عز وجل-، أم هي مجرد أقوال علماء عرفناها وفهمنا منها معنى الرب وفقط؛ نحن نريد الأثر، نريد أن يكون لهذا العلم أثرًا في القلب، فيجتهد العبد أن يُطيع ربه خوفًا وطمعًا ورجاءاً.

إذا كان العَبيد في الدنيا قد يعتز كل واحد منهم بسيدِهِ، إذا كان وجيها في القوم، فكيف بعبدالله العزيز الجليل؟! فعليك أن تعتز بربك.

ومما زادني شرفاً وتيهاً
وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك ياعبادي
وأن صيَّرت أحمد لي نبيا

اعتز بربك السيد المُطاع سبحانه وتعالى، واعتز بعبوديتك له، وقد وصف الله النبي في أعلى المقامات بالعبودية، قال تعالى، {سُبۡحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلاً مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَـٰتِنَآ‌ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ}[سُورَةُ الإِسْرَاءِ: ١]

وإذا اجتهد العبد في تحقيق الربوبية لله -عز وجل- كان ثمرة ذلك أن يُصلح الله لك نفسك، مشاكلك وهمومك التي تؤرقك، ويصلح حياتك وأولادك، فاستشعرت أن ربك بيده ملكوت السماوات والأرض، قال تعالى،{إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحۡمَـٰنِ عَبۡداً} [سُورَةُ مَرۡيَمَ: ٩٣]

أستحي من من ربك أن تعصيه في مُلكه، فمُلك السماوات والأرض بيد الله -عز وجل- اجتهد ألا تعصي الله -عز وجل- في ملكه، تواضع واخضع للمَلك الذي خلقك وأمرك و علمك وأدبك، سبحان الله!

كل هذا يملأ القلب سكينة بأن الله -عز وجل- هو المدبر، فيجعل قلب العبد في رضا تام، فيرضى بالله، ويرضى عن الله، كذلك على العبد أن يسأل الله -عز وجل- أن يُربيه كما كان يسأل الأنبياء الله، وهذه كما ذكرنا هي التربية الخاصة، فسأل "الرَب" أن يُثبتك على الإيمان، وأن يرزقك السكينة، والأرزاق نوعان، رزق الأبدان من طعام وشراب وصحة، ورزق قلوب من الإيمان والعلم والعمل الصالح والطاعة.

رزق القلوب أهم من رزق الأبدان، فإذا كان الطعام والشراب هو غذاء الجسد، فإن الطاعة والإيمان والإقبال على الله -عز وجل- هي غذاء الروح، حتى إذا تيقن العبد من ذلك، سعى في تحقيق الإخلاص وكمال الذل لله.

شهود العبد لربه بالربوبية تَعني إنفراد "الرَب" -تبارك وتعالى- بالخلق والحُكم، وإنما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه، فالخلق كلهم مقهورون تحت قبضته، يقول النبي (إن القلوب بين إصبعين من أصابعه يقلبها كيف يشاء) فإن شاء أن يُزيغه أزاغه، وإن شاء أن يَهديه، فاللهم يا مُقلب القلوب ثبت قلبي على دينك.

فيثبت قدم العبد في توحيد الربوبية، عندما يعرف أن أموره كلها بيد الله -عز وجل- ويجتهد في تحقيق العبودية، والاستعانة، فيثبت قدمه في توحيد الربوبية، ثم يَرقى منه صاعدًا إلى توحيد الربوبية، ومنها إلى تحقق توحيد الألوهية، أن يعبد ربه وحده، فإنه إذا تَيقن ذلك لم يتخذ سواه سبحانه إلها ومعبودًا.

فأول ما يتعلق القلب يتعلق بتوحيد الربوبية، ثم يرتقي إلى توحيد الألوهية، كما يدعو الله سبحانه عباده في كتابه بهذا النوع من التوحيد إلى النوع الآخر، ويُقررهم به، ثم يُخبر أنهم ينقضونه بشركهم به في الألوهية، وقد ذكرت ذلك في الدرس الأول، أن الإيمان بالربوبية في القلب، يجعلك تعبد الله -عز وجل- وحده، على عكس المشركين الذين آمنوا بالله لكنهم عبدوا الأصنام، ذلك لأن إيمانهم لم يكن نابعاً من القلب، وإنما اعتراف باللسان فقط.

فالقلب هو الأساس، لأنهم لو آمنوا بالله حقاً، واعترفوا بأن هذا الكون له رب، ما اتخذوا معه آلهة غيره، قال تعالى،{وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ} [سُورَةُ الزُّخۡرُفِ: ٨٧]

أي فأين يُصرفون عن شهادة أن لا إله إلا الله، "رَب" وعن عبادته وحده، فهم يعترفون أن ربنا هو الذي خلق السماوات والأرض، ثم يعبدوا غيره، يعبدوا الأصنام، سبحان الله! وهم يشهدون أنه لا رَب غيره ولا خالق سواه.

قال تعالى، {إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} [سُورَةُ يُونُسَ: ٣]

كيف أؤمن أن الله هو ربي ثم يتعلق القلب بغيره، ثم أُحب أحداً أكثر من حبي لربي، ثم أتوكل على أحد أكثر من توكلي على ربي، ثم يتعلق القلب بغيره، فيقع القلب في الشرك سواء كان صغيرً أو كبيرًا.

إذا أمنت أن الله ربي، فلا بد أن أحقق التوحيد كاملًا، فلا أقع في الشرك لا صغيرًا ولا كبيرًا، أحقق التوحيد تمامًا لله -عز وجل-، الإيمان باسم الله "الرَب" يجعل القلب متجهاً لله وحده، فلا يقع في أي شرك لا كبير ولا صغير.

الشرك أخفى من دبيب النمل، قد يقع فيه العبد وهو لا يعلم بسبب مثلًا محبته لأحد أكثر من محبته لله، توكله على أحد أكثر من توكله على الله، خوفه من أحد أكثر من خوفه من الله، أما إذا كانت قبلة القلب كلها متجهة إلى "الرَب"، كانت الطاعة كلها لله -عز وجل- وحده.

نقل آراء المفسرين في قوله تعالى:

{وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ} ومحاولة الربط بين بعضها ببعض.

قال الشيخ السعدي:
(أي ولكن يأمرهم بأن يكونوا ربانيين أي علماء حُكماء حُلماء، مُعلمين للناس ومُربيهم بصغارِ العلمِ قبل كبارهِ، عاملين بذلك، فهم يُأمَرون بالعلم والعمل والتعليم التي هي مدار السعادة، وبِفَواتِ شيءٍ منها يحصل النقص والخلل، والباء في قوله (بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ) هي باء السببية أي بسبب تعليمكم لغيركم المُتضمن لعلمكم و درسكم لكتابِ الله وسنة نبيهِ التي بِدرسِها يَرسُخُ العلم ويبقى تكونون ربانيين)

ومعنى كلام الشيخ السعدي أن المقصود من الربانيين أن يكونوا عُلماء حُكماء حُلماء يعلمون الناس ويربيهم بصغار العلم قبل كباره؛ وسأقف عند هذه العبارة عندما عرف ابن عباس الرباني فقال:)الرباني الذي يُربي الناس في صغار العلم قبل كباره، يحرص على نشر العلم، ولا يَستصغر أي مسألة من مسائل العلم، يحرص على تربية الناس على صغار العلم قبل كباره).

فعندما تأتي طالبة علم مُبتدئة، أي وهي في بداية التعلم، فلا يجب أن أُعلمها كِبار المسائل بل أتدرج معها. أُعلمها صِغار العلم أولاً ثم بعد ذلك أُعلمها كِبار العلم.

بعض الناس تعتقد أنه يجب على الإنسان معرفة جميع العلوم؛ يا أختي الكريمة إن تسهيل العلم اصعب من تصعيبه؛ فمن يُسهل العلم للناس أصعب عليه من هذا الذي يُصعبهُ لهم؛ لماذا؟ لأني إذا نقلت لك قولاً من الأقوال كما هو، هذا أمرٌ يسيرُ، لأن تصعيب العلم سهل على الجميع، لكن أن أُسهل وأُيسر لك هذا القول وأُضحهُ وأُبسطه لك؛ هذا يحتاج مجهود حتى اجعل المعلومة مُيسره كي يتقبلها العقل.

يجب أن يحرص الإنسان على صغار العلم ولا يزهد في أي شيء مهماً كان، ولا تقول أن هذا الأمر صغير ولكن اسأل نفسك هل أنت عملت به هذا الأمر؟ وهل أنت مُستمرة في العمل به؟ نحن نحتاج إلى تذكير دائم؛ فلا تزهد أبداً في مسألة من مسائل العلم، مثلاً لا نقول قد تعلمتُ عن الإخلاص ولا أُريد معرفة المزيد عنه، سبحان الله! (من نظر إلى إخلاصه على أنه إخلاص فإخلاصه يحتاجُ إلى إخلاص) والمعنى أن من نظر إلى إخلاصه على أنه تمام الإخلاص وأنه لا يحتاج لمعرفة هذه المسألة أكثر من ذلك، فليُعيد النظر إلى إخلاصه، فقد يكون هذا الشخص غير مُخلص.

أنا أرى أن أكثر ما ينتاب طُلاب العِلم الآن هو أمراض القلوب؛ وأمراض القلوب كثيرة جداً ولا حول ولا قوة الا بالله. فقد لا يُؤتى الإنسان من قبل علمه -فهو حريص على علمه- ولكن يُؤتى من قبل قلبه حين يتكبر على الخلق ويرى نفسه أنه فوق الجميع؛ وحين يزهد في تعليم الناس الخير، وحين يرى أنه ليس بحاجة لهذا الوعظ؛ لذلك مهما كنت تعرف المعلومة ثم جاء من يُعيدها عليك فأصغي إليه وكأنك لم تسمَعُها من قبل؛ حينها يرزقك الله علم على علمك {وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا } [سورة مريم آية ٧٦] هُم من الأساس مهتدين فزادهم الله هدىً، فكما تواضعت لله -عز وجل- يوفقك للعمل أكثر وأكثر ويفتح لك أكثر وأكثر ويعلمك أكثر وأكثر.

يقول شيخ المفسرين -الإمام الطبري- في تفسيره وأما قوله (كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويلها؛ فذكر آراء كثيرة، قال: بعضهم يقول كونوا حُكماء عُلماء، وقال آخرون بل هم الحُكماء الأتقياء، وقال آخرون بل هم ولاة الأمور وولاة الناس وقاداتهم لأن الله -عز وجل- قال {لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ} [سورة المائدة آية ٦٣]

قال الربانيون هم الولاة والأحبار العلماء، فالرَبانيون والأحبار ينهون الناس عن هذا المنكر من قول الإثم وأكلهم السحت؛ فقال تعريف الربانيون هم الولاة والأحبار هم العلماء.

قال الطبري وأولى الأقوال عندي بالصواب في الربانيين إنهم جمع كلمة رباني، والرباني منسوب إلى الربان الذي يُربي الناس ويصلح أمورهم لهم ويُربيها ويقوم بها. والرباني هو المنسوب إلى من كان بالصفة التي وصفت، وكان العالم بالفقه والحكمة من المصلحين، يُربي أمور الناس بتعليم إياهم الخير ودعائهم الى ما فيه مصلحتهم.

هذا كله نقلاً من تفسير الطبري وكان كذلك الحكيم التقي لله الوالي الذي يلي أمور الناس على المنهاج الذي وَلِيه المُقسطون من المصلحين أمور الخلق بالقيام فيهم بما فيه صلاح عاجلهم وأجلهم وعائدة النفع عليهم في دينهم ودنياهم؛ كانوا جميعاً يستحقون أن يكونوا ممن دخل في قوله -عز وجل -(وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّٰنِيِّۦنَ)

الربانيون إذا هم عمود الناس في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا؛ وكما ذكرت من كلامه أنهم يُربون الناس ويدعوهم إلى ما فيه صلاحهم، وأنهم يُصلحون أمور الخلق بالقيام بما فيه صلاحاً لهم سواءاً كان في العاجل أو في الآجل.

لذلك قال مجاهد وهم -أي الربانيين- فوق الأحبار، والأحبار هم العُلماء والرباني الجامع إلى العلم والفقه البصر بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية وما يُصلحهم في دنياهم ودينهم.

إذاً معنى قول مُجاهد أن الأحبار جمع حَبر وهم العلماء، والرباني العالم والجامع إلى العلم والفقه والبصر بالسياسة والتدبير؛ أي أن لديه بصر بسياسة الناس وتدبيرهم وكذلك القيام بأمور الرعية وما يُصلحهم في دنياهم ودينهم، لأن نقل العلم ذاته يحتاج لحكمة، فقد يكون الإنسان حَبر من الأحبار ومن أعلم أهل الأرض؛ لكنه ليس لديه بصر بأمور الناس؛ فلا يعرف من يستطيع أن يتعلم منه العلم الآن ومن لا يستطيع؛ أو متى يُذكر الناس بهذا الأمر ومتى ينهاهم عنه مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر؛ فهو يحتاج إلى فقه وسياسة وتربية الناس؛ كما قال ابن مسعود (حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يُكذب الله ورسوله)

فالإنسان يُحدث الناس بما يعرفون حتى يفهموا فلا يذكر لهم أمور لا يفهمونها حتى لا يُكذبوا الله ورسوله؛ الناس حين لا يفهمون الأمر يشعرون أن الأمر فيه صعوبة ومشقة عليهم فيتركون الدين، لذلك الرباني يجب أن يكون لديه بصيرة وسياسة وفقه؛ فيعرف متى يأمر الناس ومتى ينهاهم، عنده فقه.

قال الإمام البغوي في تفسيره ربانيين اختلفوا فيها، قال علي وابن عباس والحسن (كونوا فُقهاء علماء)، وقال قتادة (حكماء وعلماء)، وقال سعيد بن جبير (العالم الذي يعمل بعلمه)، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس (فقهاء معلمين) وقيل الرباني (الذي يُربي الناس بصغار العلم قبل كِباره) وقال عطاء (علماء حكماء نُصحاء لله في خلقه)، وقال أبو عبيدة (سمعتُ رجلاً عالماً يقول الرباني العالم بالحلال والحرام والأمر والنهي، العالم بأبناء الأمة، ما كان وما يكون) وقيل نقلاً عن مُجاهد والبغوي (الربانيون فوق الأحبار العلماء والرباني الجامع إلى العلم والفقه البصر بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية وما يُصلحهم في دنياهم ودينهم)، أيضاً ذكر ابن كثير عدة أقوال في معنى (كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ) أي (حُكماء عُلماء حُلماء)، ونقل عن الحسن أنه قال (أهل عبادة وأهل تقوى)، أيضاً نقل رأي الضحاك في قوله {وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ}

(حق على من تعلم القرآن أن يكون فقيهاً) أي يكون فقيهاً في الدين، وتعلمون أي تفهمون معناه. ذكر كذلك القرطبي عدة أقوال في تفسيره؛ فقال الربانيون وواحدهم رباني أي هي جمع ومفردها كلمة رباني، و (الرباني الذي يُربي الناس بصغار العلم قبل كباره وكأنه يقتضي بالرب سبحانه في تيسير الأمور) إذاً الفائدة التي قالها القرطبي أن الرباني هو الذي يُربي الناس بصغار العلم قبل الكبار ويُيسر العلم كما أن الله -عز وجل- يُيسر الأمور على العبد؛ الرباني يقتدي بربه في هذا، ورُوي هذا عن ابن عباس.

كذلك قال القُرطبي (كانت في الأصل ربي، فأُدخلت الألف والنون للمُبالغة) أي كان أصل الكلمة ربي فدخلت إليها الألف والنون للدليل علي المُبالغة وشدة تعلقه بالله -عز وجل- بربه؛ كما نقول لعظيم اللحية لحياني.
أيضاً نُقل رأي المُبرد أن (الربانيين هم أرباب العلم). أنا أحاول أن أختصر لأن الكلام أحياناً يا أخواتِ في كتب التفسير يكون كثيراً.

فمعنى (الرباني العالم بدين الرب الذي يعمل بعلمه، لأنه إذا لم يعمل بعلمه فليس بعالم)

ذكر القرطبي أيضاً الأقوال الأخرى ثم ذكر فائدة في تشديد القراءة في كلمة (تُعَلِّمُونَ) فهناك قراءة تعلمون بالتخفيف وأخرى بالتشديد؛ فقال نقل رأي مِكي أن التشديد أبلغ في (بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ) لأن كل معلم عالم بما يعلم، هو في نفسه عالم بهذا العلم، وليس كل من علم شيئاً يعتبر مُعلماً، فالتَشديد يدل على العلم والتعليم والتخفيف إنما يدل على العلم فقط. يعني ازا كنا تعلمون يدل على العلم والتعليم؛ فالتعليم أبلغ وأمدح وغيره أبلغ في الذنب. فالإنسان يتعلم ويُعلم غيره أفضل من أنه يعلم العلم لنفسه فقط.

فذكر هذه الفائدة في التشديد لأن أهل المدينة قرأوا الآية بالتخفيف فقالوا (بما كنتم تَعلَمون) اختَرَ هذه القراءة أبو حاتم، وقال أبو عمرو (تدرسون) ولم يقل (تدرسون) أي قالها بقراءة التخفيف قال (بما كنتم تعلمون) مُخففة وتدرسون مخففة لأنه لم يقل الله تدرسون بالتشديد.

وقال البعض أن قراءة التشديد ابلغ لان فيها معنى العلم والتعليم معاً. نقل الشوكاني هذه الفائدة -وهو دائماً ينقل من تفسير القرطبي- فقال الشوكاني (يقول النبي كونوا ربانيين، الرباني منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون للمُبالغة كما يُقال عظيم اللحية لحياني، قيل الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره كأنه يقتضي بالرب سبحانه في تيسير الأمور؛ وهذا رأي ذكرته منذ قليل في تفسير القرطبي.

ونقل أقوال أخرى منها رأي المبرد أن الربانيون أرباب العلم واحدهم رباني أي المفرد الرباني وهذا أيضاً ذكرته، وذكر أن الباء سببية (بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ) أي بسبب كونكم عالمين، أي كونوا ربانيين بهذا السبب.

فإن حصول العلم للإنسان والدراسة له يتسبب عنهما الربانية. التي هي التعليم للعلم -هذا تعريف الشوكاني- كونوا ربانيين لهذا السبب، لأن حصول العلم للإنسان والدراسة له أي أنه يُدرِسه، يتسبب عنهما الربانية، فالرَبانية معناها التعليم للعلم وقوة التمسك بطاعة الله؛ ثم ذكر أيضاً أن قراءة التشديد وقرأ ابن عباس وأهل الكوفة (بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ) بالتشديد وقرأ أبو عمرو وأهل المدينة بالتخفيف (بما كنتم تَعلَمون) واختار القراءة الأولى أبو عُبيدة (تُعَلِّمُونَ) لأنها جمعت المعنيين العلم والتعليم كما ذكرت.

وذكـر أيضـاً قـول مِكـيّ -كمـا أوضـحت أن الشـوكلي ينقـل كثيـرا مـن القرطبـي- التشـديد أبلـغ لأن العـالم قـد يكـون عالمـاً غيـر معلـم فالتَشـديد يـدل علـى العلـم والتعلـيم؛ ثـم ذكـر الشـوكاني (والحاصـل أن مـن قـرأ بالتشـديد لزمـه (بِمَـا كُنـتُمۡ تُعَلِّمُـونَ) لزمـه أن يحمـل الربـاني علـى أمـر زائـد علـى العلـم والتعلـيم وهـو أن يكـون مُخلصـاً أو حكيمـاً أو حليمـاً حتـى تظهـر السـببية؛ لأن الله قـال (بِمَـا كُنـتُمۡ تُعَلِّمُـونَ) فهنـا فـي سـببية، هـو يُعلـم و سـبب تعليمـه فـي هـذا التعلـيم يوجـب لـه أن يكـون مُخلصـاً حكيمـاً وحليمـاً، ومـن قـرأ بـالتخفيف (بمـا كنـتم تَعلَمـون) جـاز لـه أن يحمـل الربـاني علـى العـالم الـذي يُعلـم النـاس، فيكـون المعنى كونوا معلمين بسبب كونكم علماء وبسبب كونكم تُدرسون العلم.

إذاً قـال الشـوكاني نقـلاً مـن تفسـير القرطبـي أن التشـديد (بِمَـا كُنـتُمۡ تُعَلِّمُـونَ) لأنـه يـدل علـى العلـم والتعلـيم معـاً، وقـال لـو كانـت القـراءة بـالتخفيف (بمـا كنـتم تَعلَمـون) هنـا يُحمـل الربـاني علـى العـالم الـذي يُعلـم النـاس، والتشـديد لزمـه أمـر زائـد عـن العلـم والتعلـيم حتـى يُظـر السـببية بـأن يكـون مُخلصـاً حكيمـاً حليمـاً؛ ثـم ذكـر الشـوكاني فائـدة طيبـة فقـال: وفـي هـذه الآيـة أعظـم باعـث لمـن عَلِـم أن يعمـل -أي يعمـل بـالعلم- وإن مـن أعظـم العمـل بـالعلم تعليمـه؛ إذاً أعظـم العمـل بالعلم أن يُعلمه وكذلك الإخلاص لله سبحانه فيه.

ذكـر ابـن عاشـور فائـدة طيبـة فـي معنـى ربـاني فقـال (ومعنـاه أي أن يكونـوا مخلصـين لله دون غيـره). يقـول فـي تفسـيره (وَلَـٰكِن كُونُـواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ) أي كونـوا منسـوبين للـرب وهـو الله تعـالى لأن النسـب إلـى الشـيء إنمـا يكـون لمزيـد اختصـاص المنسـوب بالمنسـوب إليـه؛ هـذه الزيـادة وهـذا النسـب معنـاه أن يكونـوا مخلصـين لله دون غيـره؛ والربـاني يُخلـص لله دون غيـره، وهـو نسـبةً إلـى الـرب، وقولـه (بِمَـا كُنـتُمۡ تُعَلِّمُـونَ) أي لعلمكـم الكتـاب الـذي مـن شـأنهِ أن يصـدكم عـن إشـراك العبـادة. إذاً هـو حمـل الربـاني علـى أنـه مُخلـص لله الـرب -عـز وجـل- وحـده وفَصَـلَ هنـا السـببية أن علمكـم الكتـاب مـن شـأنهِ أن يصـدكم عـن إشـراك العبـادة، لانكـم ربـانيين مُخلصـين لله، لمـاذا؟ لانكـم تُعلمـون الكتـاب وتعلـيم الكتـاب يصـد الإنسـان عـن إشـراك العبـادة ويجعلـه مخلـص لله -عـز وجل- فإن فائدة العلم العمل به.

ثم ذكر فائدة في (تَدۡرُسُونَ) وهي تدل على معنى التكرار، فقال تدرسون معناها تقرأون، أي القراءة باعادةٍ وتكرار، لأن مادة (دَرَسَ) في كلام العرب تحوم حول معاني التأثر من تكرار عمل يُعمل في أمثالهِ، أن يتكرر ويتأثر بهذا، وقالوا دَرَسَ الكتاب إذا قرأه بتمهل لحفظه أو للتدبر، ثم ذكر حديث رسول الله (وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم) فعَطَف التدارس على القراءة، فعُلِم أن الدراسة أخص من القراءة؛ والدراسة أخص من القراءة لأنه عَطَف (يتلون كتاب الله) - هذه هي القراءة- على (يتدارسونه فيما بينهم) -وهذا هو التدريس- والتدريس هو أخص، فيه تكرار وإتقان، ثم قالوا مادة (دَرس) تستلزم التَمكُن من المفعول، فلذلك صار درس الكتاب مجازاً في فهمهِ وإتقانهِ؛ وهذا دليل على التمكن فقد قرأ وكرر وفَهِمَ واتقنَ تماماً.

لذلك عطف في هذه الآية (بما كنتم تدرسون) على (بما كنتم تعلمون) حتى يتمكن الإنسان من العلم ويكون عنده رسوخ به.

ذكر أيضاً البقاعي في تفسيره معنى الربانيين أي (التابعين طريق الرَب منسوبين إليه بكمال؛ المُزين بالعمل، فإن الرباني هو شديد التمسك بدين الله -سبحانه وتعالى- وطاعته) وقال أيضاً (فإن فائدة الدرس العلم، وفائدة العلم العمل، منه الحث على على الخير ومراقبة الخالق) أي أن الإنسان عندما يدرس يعلم، وأنه يجب أن يعمل بما تعلم ويحرص على الخير ويراقب الله سبحانه وتعالى.

جاء أيضاً كلام طيب في معنى الرباني في تفسير الوسيط لقوله {وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ}

(ربانيين جمع رباني نسبة إلى الرِبّ -عز وجل- بزيادة الألف والنون، سماع للمُبالغة، ثم قال والمُراد بالرباني الإنسان الذي أخلص لله سبحانه وتعالى في عبادته؛ في كل أقواله وأفعاله، واتقاه حق التقوى، وجمع بين العلم النافع والعمل به، وقضى حياته في تعليم الناس وإرشادهم إلى ما ينفعهم، والمعنى لا يصح لبشرٍ آتاه الله ما آتاه من النعم أن يقول للناس اعبدوني من دون الله؛ ولكن الذي يُعقل أن يَصدُر منه هو أن يقول لهم كونوا ربانيين أي مُقبلين على طاعة الله؛ وعبادته وحده بجد ونشاط وإخلاص؛ بسبب كونكم تُعلمون غيرِكم الكتاب الذي أنزله الله لهداية الناس؛ وبسبب كونكم دارسين له أي قارئين له بتمهل وتدبر)

كان هذا نقلا من التفسير الوسيط، ذكر أن الرباني هو الذي أخلص الله في عبادته، و راقبه في أقواله، واتقاه حق تقاته، وجمع بين العلم النافع والعمل، وقضى حياته في تعليم الناس وإرشادهم إلى ما ينفعهم؛ فلا يصح أن يقول للناس اعبدوني من دون الله؛ لكن الذي يُعقل أن يقول لهم كونوا ربانيين مُقبلين على طاعة الله وعبادته بنشاط وإخلاص دون كسل وتراخي لأنكم تُعلمون غيركم الكتاب الذي أنزله الله لهداية الناس؛ أو بسبب أنكم دارسين له قارئين له بتمهل نعم وتدبر.

اختم كل هذه الأقوال بقول ابن القيم حيثُ قال ابن القيم بعدما نقل جملة من تفسيرات العلماء للرَباني (ولا يُوصف العالم بكونه رباني حتى يكون عاملا عاملاً بعملهِ مُعلماً له؛ وقال أيضا والسلف مُجْمِعون على أن العالم لا يستحق أن يكون ربانياً حتى يعرف الحق ويَعمل به ويعلمه؛ فمن عَلِمَ وعَلَمَ فذاك يُدعى عظيماً في ملكوت السماوات)

والمقصود من قول ابن القيم: أن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يكونوا ربانيين حتى يعرف الحق ويعمل به ويُعلمه؛ فمن عَلِمَ وعَمِلَ وعَلَمَ فذاك يُدعى عظيماً في ملكوت السماوات؛ فالإنسان يحرص على العلم والعمل والتعليم.

لما مات زيد ابن ثابت-رضي الله عنه- قال أبو هريرة -رضي الله عنه- اليوم مات رباني هذه الأُمة، ولعل الله أن يجعل في ابن عباسٍ مثله خَلَفاً؛ ولما مات ابن عباس، قال محمد بن الحنفية: يوم مات ابن عباس -رضي الله عنه- مات رباني هذه الأُمة.

هذا ما تيسر جمعه من التفاسير في تدبر قول الله -عز وجل- {وَلَـٰكِن كُونُوا رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ}

أيضاً وصف الله -عز وجل- الربانيين في آية أخرى بأنهم أُستحفظوا الكتاب فقال الله -عز وجل- { إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ } [سورة المائدة آية ٤٤]

أنظر إلى قوله (بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا) فالحَفظ دليل على الرسوخ وهو أعلى درجات الزكاة؛ ومعنى الحفظ أنك فهمت بحيث تستطيع أن تُعبر و تقول وتسرد؛ فالمُكتن من حفظ المعلومات وجمعها في قلبه قد بذل مجهود كبير؛ وهذا دليل على الرسوخ في العلم. والحفظ لا يكون بمجرد الجمع في الفؤاد والعمل به بل ينقلهِ إلى الأجيال ويربيهم عليه، سبحان الله! وهذا لا يتم إلا بمجهود وبذل وقضاء سنوات في هذا.

إذاً وَصَفَ الله الربانيين في قول الله -عز وجل- {وَلَـٰكِن كُونُوا رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ} أي بما كنتم تُعلمون الكتاب وتدرسون بالعلم والتعليم والعمل بالعلم والإخلاص كما وضحت.

وأيضاً وصفهم بأنهم يحفظون العلم في قوله تعالى {وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ}، وهذا دليل على الرسوخ أكثر وأكثر، أن الإنسان بما استُحَفظ من كتاب الله، أنه وصل إلى أن يحفظ ويتقن العلم.

قال الشيخ السعدي أيضاً في تفسير هذه الآية (أي بسبب أن الله استَحفظَهُم على كتابه وجعلهم أُمناء عليه؛ وهو امانة عندهم أوجب عليهم حفظهُ من الزيادة والنُقصان والكِتمان، وتعليمه لمن لا يعلمه، وهم شهداء عليه بحيث أنهم المَرجُوع إليهم فيه وفيما اشتبه على الناس منه؛ فالله تعالى قد حَمَّلَ أهل العلم ما لم يُحمله الجُهال؛ فيجب عليهم القيام بأعباء ما حُملوا؛ وألا يقتدوا بالجُهال بالإخلاد إلى البطالة والكسل؛ وألا يقتصروا على مُجرد العبادات القاصرة من أنواع الذكر والصلاة والزكاة والحج والصوم ونحو ذلك من الأمور التي اذا قام بها غير أهل العلم سلموا ونجوا؛ وأما أهل العلم فكما أنهم مُطالبون بالقيام بما عليهم أنفسهم؛ فإنهم مُطالبون أن يُعلموا الناس وينبئوهم إلى ما يحتاجون إليه من أمور دينهم خصوصا الأمور الأُصُولية والتي يَكثُر وقوعها؛ وألا يخشوا الناس بل يخشون ربهم).

كان هذا تفسير الشيخ السعدي في قوله تعالى {إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدى وَنُورۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِي ثَمَنا قَلِيلاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَـٰفِرُونَ}

انا لم انقل كل أقوال المُفسرين في الآية، يكفي قول الشيخ السعدي، وعلى هذا فإن معنى الرباني أيضاً أنه يستحفظ العلم ويَجمعهُ في صدره؛ وأنه مُطالب أكثر بعبادةِ الله -عز وجل- وتعليم الناس. أيضاً أن يعمل بهذا العلم ولا يخلد إلى البطالة والكسل.

أهل العلم مُطالبون بالقيام بما عليه أنفسهم وأيضاً مُطالبين أن يُعلموا الناس ويُنبِهوهم إلى ما يحتاجونه من أمور دينهم خصوصاً الأمور الأُصولية والتي يكثر وقوعها.

أيضاً ذكر الله -عز وجل- {لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ} [سورة المائدة آية ٦٣]

الربانيون ينهوا الناس عن الإثم وينهُنَهُم عن المُنكر، وهذا أيضاً من صفات الرباني أن يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر.

كانت هذه هي الآيات الثلاثة التي وردت فيها الربانيون، آية (٧٩) في سورة آل عمران، والآيتين (٤٤)،(٦٣) في سورة المائدة .

✓ صفات العالم الرباني:

يتضح مما سبق أن العالم الرباني له صفات؛ وسوف أذكرها سريعاً لأني تحدثت عنها في تفسير الآيات.

●الصفة الأولى:

الرسوخ في العلم، أن يكون راسخ في العلم ومجتهد فيه،(وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ) ذكرت أن فيها تكرار وأن الإنسان يفنى عمره في هذا، (بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ) أي حفظوا العلم في صدورهم وهذا لا يتأتى إلا بالرسوخ في العلم؛ وقضاء و إفناء العمر كله في العلم والتعليم والعمل.

●الصفة الثانية:

العمل، أن يعمل بالعلم الذي تعلمه. فالله تعالى قد حَمَّلَ أهل العلم ما لم يُحمله الجُهال؛ فيجب عليهم القيام بأعباء ما حُملوا؛ وألا يقتدوا بالجُهال بالإخلاد إلى البطالة والكسل.

●الصفة الثالثة:

الإخلاص للمعبود، فوَجَبَ علي الرباني أن يُخلص لله -عز وجل- في عبادته؛ في كل أقواله وأفعاله، واتقاه حق التقوى، وجمع بين العلم النافع والعمل به.

●الصفة الرابعة:

الفقه، أن يكون لدى العالم الرَباني فقه، فهو مُطالب أن يُعلم الناس فينبئهم إلى ما يحتاجون إليه من أمور دينهم خصوصا الأمور الأُصُولية والتي يَكثُر وقوعها؛ وألا يخشوا الناس بل يخشون ربهم

●الصفة الخامسة:

الحكمة، أن يكون لديه حكمة، فيعرف متى يذكر العلم، وكيف يتعامل مع الناس، كيف يأمرهم بالمعروف في هذا الوقت وكيف ينهاهم عن المُنكر.

●الصفة السادسة:

عـزة الـنفس والزهـد بمـا فـي أيـدي النـاس. فـإن فائـدة العلـم العمـل، ومنـه الحـث على الخير ومراقبة الخالق -سبحانه وتعالى-.

●الصفة السابعة:

الـورع، انـه يتـورع ولا يقـع فـي الشـبهات. حتـى لا يُجـرأ النـاس علـى معصـية الله -عز وجل-

●الصفة الثامنة:

أن يكـون لـدى العـالم الربـاني تواضـع. فيَنقـل العلـم فـي التواضـع وعـدم تَكبـر على الخلق.

●الصفة التاسعة:

أن يكـون لديـه انضـباط. يضـبط الأمـور ويكـون مُتحليـاً بسـمت العلـم، حتـى لا يُرخص العلم ولا يجعل الناس تحتقره؛ حريصاً على الوقار والتؤدة نعم.

●الصفة العاشرة:

أن يكـون قـدوة لغيـره. يحـرص علـى أن يُكمـل نفسـه ويجتهـد فـي الأمـر حتـى يعني يكون قدوة لغيره في كل عمل صالح.

•الصفة الحادية عشر:

أن يكون عنده ثبات على الحق لا يتذبذب في الفتن والكروب؛ ويسأل الله الثبات على هذا، فهو لا يأمن على نفسه ولا يغتر بعلمه، فَيُثبتهُ الله -عز وجل- عند الفتن والكروب؛ وقد ذكرنا دعاء الراسخين في العلم (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب)

• الصفة الثانية عشر:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عملاً بقوله تعالى (لولا ينهاهم والأحبار والرب عن قولهم السحت)

• الصفة الثالثة عشر:

الحرص على تحكيم شريعة الله -عز وجل- في كل الأمور، قال تعالى {إِنَّا أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ} [سورة المائدة آية ٤٤] الربانيون يحكمون بشريعة الله -عز وجل- على أنفسهم وكذلك يحكمون بين الناس بشريعة الله -عز وجل-

•الصفة الرابعة عشر:

أن يصبر على العلم وعلى أعباء الدعوة وعلى التعليم طيلة عمره؛ فهذا توفيق من الله -عز وجل- يؤتيه من يشاء، وكلما كان الإنسان مُتجرداً لله مخلصاً مجتهداً في أن يسأل الله الثبات؛ ويعرف أن الأمر كله من عند الله -عز وجل- كلما فتح الله -عز وجل- عليه أكثر وأكثر؛ فيصبر ويكون لديه يقين، قال الله -عز وجل- {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ} [سورة السجدة ٢٤]

فيُثاب كلما اجتهد أن يُحصل العلم ويخلص لله -عز وجل- فيه ويصبر ويَتَيقن أن الله عز وجل معه و لن يخذله؛ فَيصبرعلى الدعوة وعلى التعليم ويكون لديه يقين في الله-عز وجل- واليقين هو العلم التام المُوجب للعمل؛ أن يكون لديه علم تام ويقين بوعده وهذا العلم يوجب للعبد العمل والاجتهاد في طاعة الله -عز وجل- فالرَبانيون يصلوا لهذه المرتبة العالية بسبب الإيمان الذي وفقهم الله-عز وجل- به إلى الوصول إلى درجة اليقين.

●الصفة الخامسة عشر:

من صفات العالم الرباني أنه مُخلص لله -عز وجل- يعلم أن الأمر من عند الله سبحانه، ويعلم أن الثبات من عند الله-عز وجل- فيُلاحظ تقصير نفسه ويسأل الله -عز وجل- المغفرة، ويشاهد توفيق الله -عز وجل- له، كما يقول ابن القيم (العبد يسير إلى الله بين مشاهدة عيب النفس ومطالعة منة الله -عز وجل-) مطالعة منة الله -عز وجل- ومشاهدة عيب النفس والعمل، فيُشاهد أن الله -عز وجل- يَمُن عليه وأن الله -عز وجل- يفتح له، ويشاهد عيب نفسه وأنه مُقصر وأنه ما بذل، يقول الله -عز وجل- {وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ} [سورة آل عمران ١٤٦]

إذاً هم اجتهدوا ولم يضعفوا ولم يستكينوا لإعلاء كلمة الله -عز وجل- {وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ}[سورة آل عمران آية ١٤٧] أنظر إليهم فعلى الرغم من أن صعوبة موقفهم، إلا أنهم يرون ذنوبهم وتقصيرهم وأنهم ما بذلوا لله شيئاً؛ وأن الله -عز وجل- يستحق من العبد أن يجتاز في عبادته أكثر وأكثر.

هكذا يكون الرباني مجتهداً في طاعة الله -عز وجل- فيَجعل حياته كلها في طاعة الله -عز وجل- ومع ذلك يرى أن عِبادته وعلمه وتعليمه لم يكن على الوجه الأكمل وأنه ما بذل، وأن عبادة الله-عز وجل- تستحق أكثر من هذا، وأنه ما قَدَرَ الله حق قدره، فيتوب إلى الله من هذا لأنه كما قال ابن القيم (التوبة على ثلاثة درجات، توبة العوام، يتوبون إلى الله من الذنوب والمعاصي؛ وتوبة الخواص، يتوبون إلى الله-عز وجل- من تضييع أوقاتهم في غير طاعة الله؛ وتوبة خواص الخواص، اجتهدوا في فعل كل المأمورات والمُستحبات، واجتهدوا في الإبتعاد عن كل المُحرمات ولكن يرون أن أعمالهم هذه لا تَصلُح لله -عز وجل- فهم يرون أن عبادة الله -عز وجل- الحقة تستحق البذل أكثر من هذا)

♦كيف تكون من الربانيين؟ وهل يُشترط أن تكون من العلماء حتى تكون من الربانيين؟

أولاً يجب أن تسعى أن تكون من الربانيين بالاجتهاد في العلم وتعليمه والعمل به على حسب ما يفتح الله -عز وجل- عليك؛ وسوف يسألنا الله يا أخوات يوم القيامة عن مدى بذلنا. الله -عز وجل- أعطى كلاً منا قدرات مختلفة للتعلم والحفظ والضبط .

فقد يفتح الله سبحانه وتعالى لأحدٍ في مسألة دون غيره، فنجد من تفوق في جمع العلم ولكن لم يفتح الله له في فهمِهِ وشرحِهِ وتبسيطِهِ كغيره، وكذلك في الحفظ، نجد من تفوق في الحفظ دون غيره وهكذا؛ لذلك سوف يسألنا الله عن مدى بذلنا وبالتالي وجب علينا أن نجتهد اجتهاد طيب حتى وإن لم نُصبح من العلماء. فمن المهم أن يعمل الإنسان ويسعى، وأن يكون صادقاً ومُخلصاً، (فمن سألَ اللَّهَ الشَّهادةَ صادقًا بلَّغَهُ اللَّهُ منازلَ الشُّهداءِ وإن ماتَ علَى فراشِهِ) سبحان الله! يُبلغهُ الله منازل الشهداء وهو على فراش الموت لأن الله يعلم صدق نيته وأنه لو كان هُناك جهاد لَجَاهَدَ.

وسنجد من يقول أنه حاول أن يكون من الربانيين ولكنه وجد صعوبة في الحفظ والفهم أو أنه قد تلعثم في ضبط بعض الحروف أو ما إلى ذلك؛ فنقول له اجتهد وحاول وعلى حسب ما يجد الله -عز وجل- فيك من الصدق والإخلاص يُبلغك أعلى المنازل بِصدقك واخلاصك وبذلك، فلا يصح أن نتمنى أن نكون من الربانيين دون اجتهاد وعمل وبذل، فنُضيع الأوقات هباءاً دون سعي ثم نتمني أن نكون ربانيين، قد تجتهد ثم لا تنجح في شرح العلم أو حفظه وضبطهِ، لكنك تُحب العلماء، فحاول أن تستغل ما مَنَّ الله -عز وجل- عليك من قدرات واسعي في نشر العلم، واسأل الله أن يبارك في دعوة العلماء وبذلك سوف تأخذ الأجر وإن لم تشرح.

بعض العلماء نُشر عِلمهم بسبب اتباعهم، والبعض الآخر لم يُنشر علمهِ بسبب اتباعهِ، فأحياناً يكون فضل نشر علم العالم لأتباعه وليس له سبحان الله!

كاد الليث بن سعد أن يكونَ مذهباً خامساً ولكنه لم يحدث بسبب أن تلاميذه لم يحملوا مذهبهُ؛ كذلك الشيخ ابن عثيمين لم يكتب أي كتاب من الكتب الموجودة؛ كل هذه تسجيلات صوتية قام الطُلاب بتفريغها؛ ومن هنا كان فضل الاجتهاد وصدق النية في العمل، وقد تكون الشُهرة وبال على صاحبها؛ فما علينا إلا البذل والاجتهاد ويبقى التوفيق من الله -عز وجل- إما أن تكون عالماً أو تكون مع العلماء بِحُبك للعلم وأهله واجتهادك وبذلك في نشره؛ وقد أصبح الأمر مُيسراً الآن فنستطيع نشر العلم وحث الناس على تعلمه من خلال المجموعات الدينية التي يُنشر من خلالها أقوال العلماء والمقاطع الدينية؛ فما علينا إلا إخلاص النية وسوف يُيسر الله لك الوسيلة. وسوف يحاسبنا الله على قدر ما أعطاه من قدرات، فمن مَنَّ الله عليه بالذكاء والحفظ والفهم عليه أن يُبلغ كما نقلت لك كلام الشيخ السعدي في قوله تعالى {إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ}[سورة المائدة آية ٤٤] فالعلماء الربانيون ليسوا كغيرهم بما أعطاهم الله من قُدرات، فالمسؤولية التي على عاتقهم أكبر من غيرهم بحسب ما قد مَنَّ الله -عز وجل- انت أيضاً يجب أن تستغل ما قد مَنَّ الله عليك به في تبليغ العلم ونشره.

أما الشيطان فيأتي ليجعل المرء مصروفاً عن طريق الله مشغولاً بالناس؛ فعلى المرء أن يجتهد في تصحيح عبادته بقدر استطاعته؛ ويُسدد ويُقارب حتى لا يتسبب من حوله من الأقارب والأصدقاء بشغلهِ بالدنيا؛ ويسأل المرء الله -عز وجل- بصدق وإخلاص أن يجعله الله من الربانيين. اللهم وفقنا أن نكون من الربانيين، واجعلنا من المحسنين يا رب العالمين، فإن أعلى درجات العبادة الوصول بمنزلة الإحسان، كذلك يسأل الله -عز وجل- أن يكون من الراسخين في العلم، وأنِ ندعوا بِدُعائِهم {رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ} [سورة آل عمران آية ٨] إذاً تجتهد في إحسان العمل والهِمة في ذلك، قال تعالى{لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلاًۗ} [سورة هود آية ٨]

فلا تكون من الربانيين دون جُهد ومحاولة، حاول أن تضبط وقتك، ولا تنشغل بالدنيا من زيارات ولهو فيذهب وقتك هباءاً، فاختار مثلاً وقت ما بعد الفجر بما فيه من صفاء واجلس فيه لقراءة القرآن والحفظ والتدبر؛ اجمع عائلتك وأصدقائك لسماع درس علم، وسوف يفتح لك الله بنيتك الصادقة في استغلال وقتك بشكل جيد.

كذلك يجب على الإنسان الحرص على صغار العلم قبل كبارهِ؛ ويحرص على تعليم الناس صغار العلم وكبارهِ. العلم هو المبذول وليس العلم في الكتب، فالعلم يحتاج دائماً إلى تنشيط وتذكير.

سوف أعطي مثالاً توضيحياً:

إذا أعطيت خمسة أشخاص خمسة كُتب، ثم جئت بعد شهر سألتهم عن الكتاب سوف تجدهم قد وضعوه على الأرفف دون قراءة، أو قد قرأوا أول صفحاته فقط؛ أما إذا حددت لهم وقتاً مُعيناً مثل يوم الجمعة لمناقشة محتواه وتدارسه، فسوف تجد أن الجميع قد قرأ الكتاب، ومن هنا كان العلم مبذولاً ويحتاج إلى تشجيع وليس مجرد معلومات في كتب، وكل منا له دور فلا تُصغر من دورك في نشر العلم.

كيف يدخل الشيطان على قلبِ المرءِ فيجعله يحتقر صغار العلم أو ويُزهِدُك فيه؟

أو كيف يدخل الشيطان على قلب المرء فَيُرَضِيهِ بِدُنُوّ الهمة ويجعله لا يحرص على كبار العلم؟

يدخل الشيطان على قلب المرء الذي صار في طريق العلم وأراد أن يكون من الربانيين فيجعله لا يتعامل بأصل طيب مع من حوله، ولا يحترم من هو أكبر منه سناً أو علماً؛ الإنسان يجب أن يعترف بفضل أهل الفضل سواءاً كانوا أكبر منه سناً أو علماً؛ ويجب أن يُشعر كل من له فضل عليه أنه يتعلم منه وأنه يحتاج إليه ليتعلم منه.

فالشيطان يدخل على قلب المرء فيجعله يُنكر الفضل، أو لا يحترم من هو أكبر منه، أو لا يقدر غيره، ويجعله يرى أنه أفضل منه أو أنه أعلم وأنه ليس بحاجة لصغار العلم.

فالمُربي هو الذي يُربي الناس بصغار العلم ويحرص على صِغار العلم قبل كِباره، ثم بعد أن يعلم صِغار العلم يستمر حتى يصل إلى كِبار العلم أيضاً وهم حريصين على العمل به، فقد أمرهم الله -عز وجل- بالعلم والعمل والتعليم والسير في طريق العلم التي هي مدار السعادة؛ وبِفواتِ شيءٍ من العلم يحدث النقص والخلل لانه لم يستطيع أن يعمل، فهو لم يتعلم كي يعمل بما تعلم، ومن هنا يكون العلم وبالاً عليه لأنه لم يعمل به، و بفوات التعليم أيضاً لن يُفيد غيره، ويصبح علمهُ مقتصراً على نفسه. من هنا لابد أن يجتمع الثلاثة؛ العلم والعمل والتعليم.

أما الباء في قوله (بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ) فهي باء سببية أي بسبب تعليمكم لغيركم هذا التعليم المُتضمن لعلمكم و درسكم لكتابِ الله وسنةِ نبيهِ، هذا العلم الذي يدرس كتاب الله وسنة النبي -صلى الله عليه وسلم- ليُرسِخ العلم في قلب العبد فيكون من الربانيين.

الرباني هو الذي يُعلم الناس صغار العلم قبل كباره، وبهذا نستفيد أن التيسير مطلوب لتعليم العلم. ابدأ بالصغير ثم اجتهد في الوصول لكبار المسائل. الشيطان يأتي لبعض طالبات العلم أو يأتي على الناس عامة ويجعله يرى أن هذا الأمر صغير وأن مثلاً هذا الكتاب سهل، ثم يُزَهد الإنسان في السماع عن دروس الإخلاص مثلاً، أو عن مسائل الحيض والنفاس، بل و يُسَفِه ممن يعطي دروس الرقائق.

كل هذا من مداخل الشيطان، فيجب علي الإنسان ألا يستصغر أي مسألة من مسائل العلم، ولا يقول إني أعلم هذا الأمر ولا أحتاج إلى دِراسته، فربما يعلمه ولكنه لم يعمل بما تعلم فيحتاج إلى تذكير؛ أو ربما يحتاج إلى هداية أكثر{وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ} [سورة مريم آية ٧٦]، ربما قد دخله العُجب فالله -عز وجل- أعطاه هذا الدرس كرسالة له ألا يتكبر ولا يُعجب، وأن يرد الأمر إلى الله -عز وجل- عملاً بقول الراسخين في العلم {رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ} [سورة آل عمران آية ٨]، فالإنسان يسأل الله -عز وجل- دوما الثبات ويكسر نفسه حتى لا يتكبر ويستمع إلى ما يُقال باهتمام حتى وإن كان على علمٍ بما يُقال.

حتى أن بعض العلماء قالوا أن الإنسان يسأل عن أمور هو يعرفها حتى يستفيد غيره؛ المقصود أن يأتي بها في صيغة السؤال، ولكن دون إساءة أو تخطي المُعلم الذي يُعطي الدرس، فربما غَفل المُعلم عن جزءٍ في درس، فيسأله المُتعلم في تَواضع وهضمٍ للنفس، وبهذا يكون السائل علم الناس ونشر العلم وأيضاً كسر نفسه.

يجب على الإنسان دوماً أن يتهم نفسه وعمله بالتقصير في العمل بما تعلم؛ حتى يتدرج في تعليم نفسه وحتى لا يستصغر العلم أياً كان. ولا يتوقف عن العلم، فربما يقرأ الكتاب أكثر من مرة وفي كل مرة يخرج بفائدة مختلفة، سبحان الله! نحن خرجنا بفوائد كثيرة عند تفسير آية الواحدة. للننظر أيضاً إلى الرقائق وما تحمله من معاني فهذه وحدها تحتاج إلى فقهاء ليدرسوها، وكيف نستطيع معرفة أمراض القلوب حتي نُعالجها، فالمُرَبي يحتاج إلى أن يجتهد في معرفة أمراض القلوب وعلاجها حتي يستطيع أن يوصل العلم للناس، إذا قرأت كتب ابن القيم سوف تشعر بنفاسة هذا الكلام، وتشعر أنه لولا عاش هذا الكلام فعلاً ما كان كتبه؛ فالكتابة في الحالات والأمور القلبية واستقامة العبد مع الله كلام نفيس، وليس سهلاً على كل شخص أن يكتبه رغم أن البعض قد يَسهُل عليه هذا؛ سبحان الله! الأمور القلبية هذه تحتاج إلى فقه عالي ولا يستطيع كل إنسان أن يُدركه.

♦ما هو الميزان المُعتدل للحُكم على الآخرين بأنه رباني أم أنه مُجتهد في الأمر.

يجب علينا أن نحكم على العالم بما بذل في العلم وما قدمه من شروحات، ومدى نَفعِهِ للمسلمين، كذلك ما قدمه من كتب نافعة، وكيف قضى عمرهِ للرسوخ في العلم وإن كان في علمٍ واحد، وإن قضى حياته في تزكية الناس وتعليمهم بأعمال القلوب، فليس شرطاً أن يتخصص في كل العلوم لأن هذا فضلاً يُؤتيه الله من يشاء. قد يفتح الله -عز وجل- على إنسان في علمٍ واحد فَيَتخصص فيه فيُصبح في هذا العلم أفضل من عالم آخر جمع كل العلوم. فقد يقضي عمره في تعليم الفرائض فقط ويشتهر في هذا العلم، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (تعلموا الفرائض وعلِمُوها للناس)،

وقد يقضي عمره في تعليم الناس المواريث وضبط مسائلها ورد الشُبهات فيها، ففتح الله -عز وجل- عليه في هذا الجانب، وقد يدخل الشيطان عليك من هذا أيضاً، فيُصغر لك ما تقوم به ويوسوس لك بأنك لا تصلح لِمسائل العلم الكبيرة، وليس معنى أن نُعلم الناس صغار العلم أن نُزهِدَهم في كَبيرهِ.

الإنسان وجب عليه أن يجتهد ويحرص على صغار العلم وتسهيل كبيره؛ كذلك لا نُقلل من أي مسألة في العلم حتي لا نُسَفِهه ويجعل هناك إزدراء للعلم عند الناس، ونحرص على الهمة ولا نحكم على الآخرين بالمَسائل المُعقدة أو بما عرفوه من مسائل معقدة بل نحكم على الآخرين بما بذلوا واجتهدوا في البذل حتى وإن لم يتخصصوا إلا في علم واحد، فكما وضحت العلم هو المبذول، فابذل العلم ولا تحقر من نفسك. وكل إنسان باستطاعته أن ينشر الخير الآن بشكل أيسر وأوسع من خلال وسائل التواصل الاجتماعي.

اسأل الله -عز وجل- أن يجعلنا من الربانيين، وأن يوفقنا للعمل بالعلم ونشره وتعليمه وافناء أعمارنا في هذا إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أسأل الله-عز وجل- أن يجعل هذه الكلمات في ميزان حسنات آبائنا وأمهاتنا وان يُجازيهم عنا خير الجزاء وأن يجمعنا بهم في الفردوس الأعلى من الجنة دون سابقة عذاب ولا حساب.